رؤية الامام المهدي

في زمن الغيبة الكبرى بين الإمكان والعدم

بحث

يتناول ادلة القائلين بإمكان الرؤية

وادلةالقائلين بالعدم

تأليف

الشيخ محمد جليل الازيرجاوي

رؤية الإمام المهدي

في زمن الغيبة الكبرى

بين الإمكان والعدم

بحث يتناول ادلة القائلين بإمكان

الرؤية وادلة القائلين بالعدم

تأليف

الشيخ محمد جليل الإزيرجاوي

صدر للمؤلف

١ـ الحواري كميل بن زياد

٢ـ اللآلئ النفيسة في حياة السيدة نفيسة

٣ـ الزهراء والحزب الحاكم

٤ـ المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية

٥ـ حياة السفراء الأربعة للإمام المهدي

٦ـ تاريخ وزراء الشيعة ثلاثة أجزاء

٧ـ شرح أسماء فاطمة الزهراء

٨ـ الإقليد في معرفة مراجع التقليد

٩ـ رؤية الإمام المهدي في زمن الغيبة الكبرى بين الإمكان والعدم

١٠ـ راية الإمام المهدي وعلامات الظهور والقيام ـ مهيئ للطبع ـ

١١ـ دراسات عامة في فقه الرجال ـ مهيئ للطبع ـ

١٢ـ رسالة في تقليد الأموات بين الحرمة والوجوب ـ مهيئ للطبع ـ

١٣ـ رسالة في مباني السيد الخوئي الرجالية ـ مهيئ للطبع ـ

١٤ـ تاريخ دول الشيعة ثمانية أجزاء ـ مهيئ للطبع ـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن حتى قيام يوم الدين .

هذا البحث قد ذكرته مفصلاً في كتابنا حياة السفراء الاربعة للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ، ولكن احببت ان افصله لما كثر السؤال حول مسالة رؤية الامام في زمن الغيبة الكبرى ، وهل لبعض علمائنا الاعلام راى خالف ما بعضهم الكثير من امكان الرؤية ؟

اضافه لبعض الاسئلة التي طرحت حول صحة بعض الروايات التي تحدد شخصية الإمام المهدي بكونه من ذرية الإمام الحسن وليس من ذرية الإمام الحسين ؟

وكذا حول تطور هذه النظرية اقصد خروج المصلح العالمي الذي ينتظره المجتمع الإنساني بكل شغف والهفة ، عبر الزمان ، وهل استغلت هذه الشخصية لأغراض سياسية أو عقائدية ؟ أو غيرها من الأغراض .

كل هذا وذاك دفعني بأن اجعل هذا البحث مستقلاً وأضيف عليه ما يتناسب مع حدود الموضوع ، أو ما يتناسب لبعض الاسئلة المطروحة ، لذا قسمت هذا البحث إلى قسمين :

القسم الأول : يتناول بحثاً حـول ولادة الإمـام المهـدي ومـا رافـق تلـك الولادة المباركة من ملازمات ، ويتناول أيضاً حول شخصيات أدعيّ لها المهدوية لظروف وأسباب اقتضت المصلحة لذلك .

وبحثت فيه الجانب التـاريخي لظهـور الروايـة الـتي حـاول الـبعض أن يحرفها عن المسار العام التي حددت هوية الإمام المهـدي الـذي عنـاه الرسـول الأعظم .

وكذا تفنيد سند ومتن الروايات الموضوعة الـتي اشـارت بكـون الإمـام المهدي من ذرية الإمام الحسن المجتبى وغيرها من الابحاث .

القسم الثاني : سلّطت الضوء حول الفرق بين الرؤيا والمشاهدة سـواء أكان في اليقظة أم في الحلم وتحديد ما هو المعني بالبحث ، وذكرت أيضاً جملـة من علمائنا الاعلام الذين يقولون بعدم إمكان رؤيـة الإمـام المهـدي في زمـن الغيبة الكبرى مع ذكر أدلتهم ، وقبال هؤلاء الاعلام ذكرت قول المشهور مـن علمائنا الأعلام الذين يصرحون صراحة بإمكان الرؤية والتشرف باللقـاء بـه صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين .

أضافة لما قارنت بين القولين وخرجـت بنتيجـة وتـرجيح الاقـوى مـن الأدلة ، وعالجت ما هو مدون من القصص والرؤيا التي ذكرها المحدث النوري في كتبه ، وغيرها من الابحاث .

وسلّطت الضوء حول مسألة القصص والحكايات والشواهد الصادقة ، فقد ورد في كثيرٍ من الكتب والمؤلّفات قصصٌ وحكاياتٌ جمَّة تدلُّ على إمكانِ المشاهدة ووقوعها صراحَةً ممّن ادّعوا الرؤية والمشاهَدَة وعمّـن نسـبت إلـيهم

بعض تلك الحكايات ، وحكايات تدل على إمكان الرؤية والمشاهدة ضمناً لا صراحة وأوّلُ هذه الحكايات ـ بحسب الظاهر ـ هي حكايةُ نَصْبِ الحَجَرِ الأسودِ عام ٣٣٩ هـ المتعلّقة والمنسوبة إلى ابن قولويه المتوفى ٣٦٩ هـ ، والذي نَقَلَها القُطْبُ الرّاوندي المتوفي ٥٧٣ هـ في كتابه الخرائج والجرائح .

وقارنت بين القولين ، نجدُ فيهما ثغرات واضحة من حيث الضّعف السّندي تارةً والمتن أخرى ، وكذا نجِدُ القوَّةَ السّندية والمتن في كلا القولين وحال أدّلة النافين يَعْتَمِدُ على أمرٍ واحد وهو النفي الوارد في التوقيع تارة والنفي الوارد في الرّوايات تارة أخرى .

وذكَرت أنَّ أولَ مَنْ أشكل على التوقيع وطَعَنَ فيه دلالةً وسنداً هو المحدّث النوري خاتمة المحدثين رحمه الله ، وتبعه في ذلك جمعٌ غفيرٌ ممن عاصروه أو عاديوا وتأخروا عنه ، لما وقع الخلط والاشتباه في اسم راوي هذا التوقيع المبارك ، وعالجت هذا البحث بتفصيل تام .

ومنه تعالى نستمد العون والسداد ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين .

محمد الإزيرجاوي

النجف الاشرف

٢١ ربيع الأول ١٤٣٨ هـ

القسم الأول

مَنْ هو المهدي

الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر من أئمة المسلمين يظهر آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

وأمر المهدي من المتواتر المقطوع به عند جميع المسلمين بلا خلاف وإنْ اختلف ففي جزئيات تلك القضية المهمة ... فهل هو مولود أو سوف يولد في آخر الزمان ؟ وهل هو من ذرية الإمام الحسن عليه السلام أو هو من ذرية الإمام الحسين ؟ وهل ظهوره يكون في العراق أو مكة ؟ وغيرها وهذا الخلاف لا يقدح بكلية القضية المسلّمة عند جميع المسلمين .

لهذا ذهب الشيعة الإمامية هو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام للروايات من كلا الطرفين اشارة إلى ذلك ، وقد ذاع أمره وشاع في زمن النبي صلى الله عليه وآله وزمن الأئمة عليهم السلام وفي كل الطبقات ، بل لم يشهد التاريخ اذاعةً لأمر من هذا النوع كما هو الحال مع ذياع أمر المهدي .

وعيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بأن المهدي أمره محتوم لابد من وقوعه وأنه عليه السلام من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ففي عقد الدرر بإسناده عن حذيفة قال : خطب رسول الله فذكر لنا بما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم قال ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي ، اسمه اسمي))

فقام سلمان فقال : يا رسول الله من أيّ ولدك ؟ قال : ((هو من ولدي هذا)) وضرب بيده على الحسين بن علي ثم يعقب صاحب الدرر على هذا : أخرجه أبو نعيم في صفة المهدي[1].

وأخرج السيوطي عن الطبراني في الأوسط عن ابن عمر إن النبي أخذ بيد علي فقال((سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً))[2] وفي ينابيع المودة من المناقب بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن محمد علي عليه السلام الباقر عن أبيه علي بن الحسين ، قال : دخلت على جدي رسول الله فأجلسني ﷺ على فخذه ، وقال لي : ((إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم))[3] .

وفي عقد الدرر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ((يخرج رجل من أهل بيتي ، ويعمل بسنتي ، وينزل الله له البركة من السماء ، وتخرج له الأرض بركتها ، وتُملأ به عدلاً ، كما مُلئت ظلماً وجوراً ، ويعمل على هذه الأمة سبع سنين ، وينزل بيت المقدس))[4] .

وأخرج الشيخ الصدوق في اكمال الدين بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لولده الحسين ((التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق ، والمظهر للدين ، والباسط للعدل ، قال الحسين : وإن ذلك لكائن ؟ قال علي : إي والذي بعث محمداً بالنبوة ، واصطفاه على جميع

---

(1) عقد الدرر / ٣٦ يوسف بن يحيى الشافعي .

(2) العرف الوردي في أخبار المهدي / ٢٥ جلال الدين السيوطي .

(3) ينابيع المودة /٢/ ٣٦٢ القندوزي الحنفي .

(4) عقد الدرر/ ٤١ .

البرية ، ولكن بعد غَيْبَةٍ وحَيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه))[1] .

ونظراً لأهمية المهدي في وظيفة الأئمة من ذرية الإمام علي ، فقد كان كل إمام منهم يؤدي إلى الأمة الرسالة التي حملها عن سلفه في التعريف بالمهدي لكي تعيش الأمة الأمل في الخلاص من الظالمين ، إقامة مجتمع العدل الإلهي جيلاً بعد جيل .

الإمام الحسن عليه السلام أدّى بعد أبيه الرسالة في المهدي ، فحين دخل عليه الناس بعد الصلح مع معاوية ، وكان فيهم مَنْ لامه على الصلح ، قال عليه السلام : ويحكم ، ما تدرون ما عملت ؟ واللهِ الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أني إمامكم ؟ مفترض الطاعة عليكم وأحد سيّدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ؟ قالوا بلى .

قال : اما علمتم أن الخضر لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار ، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة منه ، وذلك عند الله حكمة وصواباً ؟

اما علمتم أنه ما منّا إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه ؟ إلا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم خلفه ، فإن الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويُغَيّب شخصه ، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء ، يُطيل الله عمره غَيْبَته ، ثم يظهره بقدرته

---

(1) كمال الدين واتمام النعمة / ١/ ٤٢٢ الشيخ الصدوق .

في صورة شاب ابن دون أربعين سنة ، ذلك ليُعلَم أن الله على كل شيء قدير[1].

ولما جاء الإمام الحسين بعد أخيه الحسن عليهما السلام عرّف الناس بالمهدي أنه قال : سُئل أمير المؤمنين علي عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله ((إني مخلّف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) مَنْ العترة ؟

فقال عليه السلام : أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من وُلد الحسين ، تاسعهم مهديّهم ، لا يفارقون كتاب الله ، ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه[2].

وقال الإمام الحسين في حديث للناس : منّا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحق يحيى الله به الأرض بعد موتها ، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون ، له غيبة يرتدُّ فيها آخرون فيُؤْذَوْنَ ، ويُقال لهم : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟ أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله .

وبلّغ الإمام علي بن الحسين عليه السلام الرسالة في أمر المهدي إلى ولده محمد الباقر ، فقد حدّث محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين ابن علي عليه السلام أنه قال : ((في التاسع من ولدي سُنّة من يوسف وسنة من

---

(1) بحار الأنوار / ١٣/ ٣٣ العلامة المجلسي .

(2) كمال الدين /١/ ٣٥١ .

موسى بن عمران ، وهو قائمنا أهل البيت ، يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة .

وبلّغها الإمام علي بن الحسين إلى الأمة ، ففي أمالي الشيخ المفيد عن أبي خالد الكابلي ، قال : قال لي : يا أبا خالد لَتأتينْ فتن كقطع الليل المظلم لا ينجوا منها إلا مَنْ أخذ الله ميثاقه ، أولئك مصابيح الهدى ، وينابع العلم ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة ، كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان ... جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، واسرافيل أمامه ، معه راية رسول الله ﷺ قد نشرها لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله عزّ وجل[1].

وبلّغ الإمام محمد بن علي الباقر بعد أبيه ما تحمّله في أمر المهدي ، فعن أبي مريم الغفار بن القاسم قال : دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده أُناس من أصحابه ، فجرى ذكر الإسلام قلت : يا سيّدي فأي الإسلام أفضل ؟ قال : مَنْ سلم المؤمنون من لسانه ويده إلى أن قال : فقبّلتُ يده وقلت بأبي أنت وأمي يابن رسول الله ، فما نجد العلم الصحيح إلا عندكم وإني قد كبُرت سني ودقّ عظمي ، ولا أرى فيكم ما أُسَرُّ به ، أراكم مقتّلين مشرّدين قال : يا عبد الغفار ، إن قائمنا هو السابع من ولدي ، وليس هذا أوان ظهوره ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه ، قال رسول الله ﷺ : ((إن الأئمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل ، تسعة من صلب الحسين ، والتاسع قائمهم يخرج آخر الزمان فيملؤها قسطاً وعدلاً ، بعدما مُلئت جوراً وظلماً)) قلت فإنْ كان هذا كائن يابن رسول الله ، فإلى مَنْ بعدك ؟ قال : ((إلى جعفر ، وهو سيّد

---

(1) أمالي الشيخ المفيد / ٢٨ .

أولادي ، وأبو الأئمة ، صادق في قوله وفعله ، ولقد سألت عظيماً يا عبد الغفار وإنك لأهل الإجابة))[1].

ولما جاء الإمام جعفر بن محمد الصادق بعد أبيه الباقر توسع في نشر الأحاديث عن المهدي ، وقد عيّنه بأنه السادس من لده ، أخرج الشيخ الصدوق بسنده عن إسماعيل بن محمد ـ المشهور بالسيد الحميري ـ أنه قال : كنت أقول بالغلو واعتقد غَيْبة محمد بن الحنفية فمّن الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد وانقذني به من النار ، وهداني إلى سواء الصراط ، فسألته بعدما صحّت عندي الدلائل التي شاهدتها من أنه حجة الله عليّ ، وعلى جميع أهل زمانه ، وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته ، وأوجب الاقتداء به ، فقلت له : يابن رسول الله قد رُوي لنا اخبار عن آبائك في الغَيْبة ، وصحو كونها فأخبرني بمَنْ ؟ فقال : إن الغَيْبة ستقع بالسادس من ولدي ، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ﷺ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي القائم بالحق ، بقية الله في الأرض ، وصاحب الزمان ، والله لو بقي في غَيْبته ما بقي نوح في قومه لن يخرج من الدنيا حتى يظهر ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً .

قال السيّد الحميري : فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد تُبت إلى الله تعالى ذكره على يديه ، قلت قصيدتي التي أولها :

فلما رأيت الناس في الدين غووا تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

---

(1) المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية/ ١/ ١٥٧ ، الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري .

وقال عليه السلام في حديث له للناس : يظهر صاحبنا وهو من صلب هذا ـ وأومأ بيده إلى الإمام موسى بن جعفر ـ فيملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، وتصفوا له الدنيا[1].

وسار الإمام موسى بن جعفر الكاظم في طريق آبائه في وجوب التبليغ بالمهدي ، قال يونس بن عبد الرحمن : دخلت على موسى بن جعفر ، فقلت له : يابن رسول الله ، أنت القائم بالحق ؟ فقال عليه السلام : أنا القائم بالحق ، ولكن القائم الذي يُطهّر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ ، ويملؤها عدلاً ، كما مُلئت جوراً ، هو الخامس من ولدي ، له غَيْبة يطول أمدها ، خوفاً على نفسه ، يرتدُّ فيها أقوام ، ويثبت فيها آخرون ، ثم قال : طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا فى غَيبة قائمنا ، الثابتين على موالاتنا ، والبراءة من أعدائنا أولئك منا ، ونحن منهم[2].

وتحمّل مسؤولية التبليغ بهذا الأمر العظيم الإمام علي بن موسى الرضا ، فحين أنشد الشاعر دعبل الخزاعي قصيدته التائيه بحضرة الإمام الرضا عليه السلام ولما وصل إلى قوله :

خروج إمام لامحالةَ قائم يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميّزُ فينّا كلَّ حق وباطل ويجزي على النُّعماء والنّقِماتِ

بكى الإمام الرضا عليه السلام ثم رفع رأسه وقال : يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذا البيت ، اتدري مَنْ هذا الإمام الذي تقول فيه ؟

---

(1) كمال الدين / ٢/ ١٠٥ ، وانظر ايضاً المصدر السابق .

(2) كمال الدين /٢/٢٠ .

قال دعبل : لا أدري ، إلا أني سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم ، يملأ الأرض عدلاً ، قال الإمام الرضا عليه السلام : يا دعبل ، إن الإمام بعدي محمد ابني ، وبعده علي أبنه ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن أبنه محمد الحجة القائم المنتظر في غَيْبته ، والمطاع في ظهوره ، ولو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا ، فيملأ الارض عدلاً كما مُلئت جوراً وأما متى يقوم ؟ لقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : مثله كمثل الساعة ، لا تأتيكم إلا بغتة[1].

ولما جاء محمد الجواد بن الإمام الرضا قال للناس : إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتَظر في غَيْبته ، ويُطاع في ظهوره ، هو الثالث من ولدي...[2]

وقال في مناسبة أخرى : الإمام من بعدي أبني علي أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، ثم سكت ، فقال الصقر بن أبي دلف يابن رسول الله فَمنْ الإمام بعد علي ؟ قال : إن من بعد الحسن ابنه ، قال الصقر : فَمنْ الإمام بعد الحسن ؟ قال : إن من بعد الحسن أبنه القائم بالحق المنتظر ، فقال الصقر : ولِمَ سُمّي القائم ؟ قال : لأنه يقوم ((بالدين)) بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته ، فقال الصقر : ولِمَ سُمّي المنتظر ؟ قال : إن له غَيْبة يكثر أيامها ، ويطول أمدها ، فينتظر خروجه المخلصون ، وينكره

---

(1) بحار الأنوار / ١٣/٤١ .

(2) بحار الأنوار / ١٣ / ٤١ .

المرتابون ، ويستهزئ به الجاحدون ، ويكذب فيها الوقّاتون ، ويهلك فيها المبطلون ، وينجو فيها المسلمون[1].

وجاء علي الهادي بعد أبيه محمد الجواد فأشأ الجدُّ يبلّغ عن حفيده قائلاً للناس : الإمام بعدي الحسن ابني ، وبعده أبنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئت جوراً وظلماً[2].

وجاء المولود ، وراح أبوه الحسن العسكري يبشر بوعد الله ، وأنشودة الأنبياء ، وأمل المظلومين والمحرومين ، وسمّاه أبوه محمداً ، وبعد ثلاثة أيام من ولادته جاء أصحاب الإمام الحسن العسكري ليزوروه ، فحمل الإمام محمداً وعرضه عليهم قائلاً : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي يمتدُّ إليه الأعناق بالانتظار ، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[3].

وسأله الناس بعد ولادة ابنه محمد : مَنْ الحجة والإمام بعدك ؟ قال عليه السلام بني محمد هو الإمام بعدي ، مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ، أما أن له غَيْبة يحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون . ويكذب فيها الوقّاتون ، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة[4].

لقد أدّى الأئمة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الرسالة التي تحموها عن الله ورسوله في التعريف بالمهدي ، وتعينه للأمة ، أدّوها خير أداء وعرّفوه للأمة

---

(1) المصدر السابق .

(2) أعلام الورى ، الطبرسي .

(3) ينابيع المودة / ٤٦٠ .

(4) المهدي الموعود / ١/ ١٧٧ .

بلا لبس أو غموض ، وعيّنوه بأنه الإمام الثاني من أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنه ابن الحسن العسكري واسمه محمد ولأجل الحفاظ عليه من سطوة الجبارين الذين يتتبعون أخباره ليقتلوه ، ولأجل ذلك أوصى الإمام علي الهادي وأبنه الحسن العسكري أتباعهما أن لا يذكروه باسمه الصريح في مجالسهم وأحاديثهم ، وأن يشيروا إليه باسم الحجة من آل محمد ، أو الحجة ابن الحسن صلوات الله عليه وعلى أبائه .

الخلاف في شخص المهدي لا في وجوده

لقد أجمع المسلمون بمختلف آرائهم ومذاهبهم على وجود المصلح العظيم المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً وأنه هو الإمام الوارث الذي تتحقق على يديه وراثة الصالحين .

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1]

واختلفوا في تحديد شخصه وولادته فصار لهم بذلك الاختلاف رأيان متعارضان ، رأي يقول به اتباع أهل البيت عليهم السلام الشيعة الإمامية .

ويؤمن هذا الجمع من المسلمين بأن المهدي الذي اجمع المسلمون على ظهوره ونهوضه بأعباء الدعوة والإصلاح في حقبة متأخرة من العصور هو محمد بن الحسن المهدي كما ذكرنا جملة من الروايات التي حددت هوية وشخصيته المباركة .

فأبوه الإمام الحسن العسكري ، وأمه نرجس ، وأنه ولد في حياة أبيه الحسن العسكري في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سامراء قبل وفاة أبيه بخمس سنين ، وهو حي غائب وسيظهر بإذن الله ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

وأما الفريق الآخر من المسلمين ، فيختلف مع الشيعة الإمامية في أن يكون الإمام المهدي قد ولد ، وأنه مغيب ينتظر ، كما تنتظر الأمة ساعة الخروج وممارسة مهمة الثورة والاصلاح الكبير ، بل سيولد في فترة من الزمان

---

(١) سورة الأنبياء الآية / ١٠٥ .

ويمارس دوره المرسوم له ، ويتفق المسلمون جميعاً في أنه من أهل البيت المطهرين عليهم السلام من ذرية الرسول ومن ولد فاطمة من ابناء الحسين ، إلا شاذ منهم يقول بأن المهدي ولد الحسن .

ووصف في حقه أحاديث الغاية منها هو أبعاد الناس عن ذرية الإمام الحسين عليه السلام لأنه فيه الإمامة وإن الأئمة عليهم السلام هم ذريته التي اشار إليهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالاسم واللقب والكنية وأن الإمام المهدي منه عليه السلام .

والقائلون بهذا استندوا في قولهم على حديث واحد ذكره أبو داود السجستاني في سننه وتناقلته المصادر الإسلامية عنه ، وهذ نص الحديث : قال أبو داود حُدّثتُ عن هارون بن المغيرة ، قال حدثنا عمر بن أبي قيس عن شعيب بن خالد ، عن أبي إسحاق ، قال علي رضي الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن فقال : ((إن ابني هذا سيّد كما سماه النبي وسيخرج من صلبه رجل يُسمّى باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ، ولا يشبهه في الخَلْق)) ثم ذكر قصة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً[1].

والتحقيق في ذلك :

وإذا درسنا الحديث سنداً ومتناً تظهر لنا الملاحظات التالية :

١ـ إن سنده منقطع ، لأن مَنْ رواه عن علي عليه السلام هو أبو إسحاق والمراد به السبيعي ، وهو لم تثبت له رواية واحدة سماعاً عن علي ، كما صرّح بهذا المنذري في شرح الحديث[2]. وقد كان عمر أبي إسحاق يوم شهادة أمير المؤمنين

---

(١) سنن أبي داود / ٤ / ١٠٨ رقم الحديث رقم الحديث ٤٢٩٠ ، وأخرجه عنه في جامع الأصول /١١/ ٤٩ رقم الحديث ٧٨١٤ ، وكنز العمال /١٣/ ٦٤٧ رقم الحديث ٣٧٦٣٦ ، ونعيم بن حماد في الفتن /١/ ٣٧٤ .

(٢) مختصر سنن أبي داود للمنذري /٧/ ١٦٢ رقم الحديث ٤١٢١ .

علي عليه السلام سبع سنين ، لأنه ولد لسنتين بقيّا من خلافة عثمان ، في قول ابن حجر[1].

٢ـ إن سنده مجهول ، لأن أبا داود قال : حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة ولا يُعلَم مَنْ حدَّثه ، ولا يُؤخذ بالحديث المجهول اتفاقاً .

٣ـ وإذا افترضنا سلامة السند وصحته فإن احتمال التصحيف وارد فيمكن أن يحدث التصحيف في اسم ((الحسين)) إلى ((الحسن)) في النقل عن أبي داود ، يؤيد ذلك أن الجزري الشافعي المتوفي سنة ٨٣٣ هـ أورد الحديث نفسه بسنده عن أبي داود نفسه ، وفيه اسم ((الحسين)) مكان ((الحسن))

قال : والأصح أنه من ذرية الحسين بن علي ، نصّ أمير المؤمنين عليّ على ذلك فيما أخبرنا به شيخنا المسند رحلة زمانه ، عمر بن الحسن الرقّي قراءة عليه قال : أنبأنا أبو الحسن بن البخاري ، أنبأنا عمر بن محمد الدارقزي ، أنبأنا أبو البدر الكرخي ، أنبأنا أبو بكر الخطيب ، أنبأنا أبو عمر الهاشمي ، أنبأنا أبو علي اللؤلؤي ، أنبأنا أبو داود الحافظ ، قال : حُدِّثت عن هارون بن المغيرة ، قال حدثنا عمر بن أبي قيس ، شعيب بن خالد عن أبي إسحاق قال : قال علي ((ونظر إلى ابنه الحسين)) فقال : ((إن ابني هذا سيّد كما سماه النبي وسيخرج من صلبه رجل يُسمّى باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق)) ثم ذكر قصة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، هكذا رواه أبو داود في سننه ، وسكت عنه[2].

---

(١) تهذيب التهذيب ٥٦/٧ .

(٢) اسمى المناقب في تهذيب اسمى المطالب للجزري / ١٦٥ .

٤ـ إن احتمال وضع الحسن مكان الحسين متعمّد من قبل بعض الرواة خدمة لأغراض سياسية وعقائدية .

ويؤيد هذا الاحتمال أن الحسنيين وأتباعهم زعموا أن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي أبي طالب هو المهدي ، أيام ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى على السلطة العباسية في خلافة أبي جعفر المنصور .

٥ـ ويؤيد حصول التصحيف في اسم الحسين ، أو التحريف المتعمّد أن الحديث نفسه أخرجه أبو صالح السليلي ـ وهو من أعلام أهل السنة ـ بسنده عن الإمام موسى جعفر عن أبيه جعفر بن الصادق عن جده علي بن الحسين عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه اسم ((الحسين)) لا ((الحسن))[1].

كما إن الأحاديث الصحيحة الواردة عن طريق أهل السنة في المهدي تنصُّ على أن المهدي من ذرية الحسين لا الحسن ، ومنها حديث حذيفة بن اليمان ، عن رسول الله ، قال حذيفة : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكّرنا بما هو كائن ، ثم قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد ، لطوّل الله عزَّ وجلَّ ذلك اليوم ، حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي ، اسمه اسمي ، فقام سلمان الفارسي فقال : يا رسول الله ، من أيِّ ولدك ؟ قال : من ولدي هذا ، وضرب بيده على الحسين[2].

---

(1) التعريف بالمتن لابن طاووس /٢٨٥ باب ١٧٦ أخرجه عن فتن السليلي .

(2) المنار المنيف لابن القيم /١٤٨ ، عن الطبراني في الأوسط ، عقد الدرر / ٤٥٠ ، من الباب الأول وفيه (أخرجه أبو نعيم في صفة المهدي) ، ذخائر العقبى للمحب الطبري /٢٣٧ وفيه (فيحمل ما ورد مطلقا

وقد وقع في الخطأ نفسه الاستاذ محمد عيسى في كتابه ((المهدي المنتظر على الأبواب)) قال : ثابت بالأحاديث الصحيحة أن المهدي من آل البيت الشريف ... شجرة عائلته تعود بأصله إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه وقيل أنه من نسل الحسين ، لكن الأقوى والأوكد أنه من نسل الحسن رضي الله عنه من جهة الأب ، وسيدنا الحسين رضي الله عنه من جهة الأم ، فهو ذو النورين الحسنين[1].

ولا أدري من أين جاء بـ((الأقوى)) و((الأوكد)) فإن كان قد اعتمد في ذلك على الحديث الذي أورده أبو داود السجستاني في سننه ، فإن الملاحظات التي أوردناها عليه كافية بتضعيفه إن لم نقل ببطلانه ، ولا أدري من أين جاء بأن المهدي من نسل الحسن من جهة الأب ، ومن الحسين من جهة الأم فإن كانت حجته في ذلك الحديث الذي أورده عن أبي هريرة بسنده عن الرسول وهو قوله ﷺ : المهدي من ولد الحسن بن علي والحسين ، يملك أمر المسلمين وشأنه كله خير[2].

فهذا الحديث ليس فيه ما يثبت دعواه من وجوه :

١ـ لا يوجد أي أثر يثبت أن المهدي ابن الحسن من جهة الأب والحسين من جهة الأم ، بل العكس من ذلك فإنه يوجد أثر يدل على أن المهدي بن الحسين من جهة الأب ، والحسن من جهة الأم وذلك لأن زوجة الإمام علي

فيما تقدم على هذا المقيد) ، فرائد السمطين / ٢/ ٣٢٥ ، القول المختصر / ٣٧ لابن حجر ، السيرة الحلبية ١٩٣/١/ ، ينابيع المودة /٦٣/٣ .

(١) المهدي على الأبواب /٢٢٥ .

(٢) المهدي المنتظر على الأبواب /٢٣٦ .

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب التي هيَ أم الإمام الباقر بن علي بن الحسين هي فاطمة بنت الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب ، وعلى هذا يكون الإمام الباقر حسيني الأب ، حسني الأم ، وهو جدّ الإمام المهدي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن الباقر ، فيكون المهدي حسيني الأب حسني الأم .

٢ـ قد يكون المراد من قوله في الحديث : ((من ولد الحسن بن علي والحسين)) أن المهدي من ولد الحسن العسكري بن علي الهادي ومن ذرية الحسين .

ويؤيد ذلك ما أخرجه في كفاية الأثر بسنده عن مسلم بن مسعدة ، قال كنت عند الصادق عليه السلام إذ أتاه شيخ كبير قد انحنى متكئاً على عصاه ، فسلّم فرد أبو عبد الله الجواب ، ثم قال : يابن رسول الله ، ناولني يدك أقبلها ، ثم بكى فقال أبو عبد الله ما يبكيك يا شيخ ؟ قال : جعلت فداك يابن رسول الله أقمتُ على قائمكم منذ مائة سنة ، وأقول هذا الشهر ، وهذه السنة وقد كبُر سني ودقّ عظمي ، وأقترب أجلي ، وأرى فيكم مالا أحب ، أراكم مقتَّلين مشرَّدين ، وأرى عدوكم يطيرون بالأجنحة ، فكيف لا أبكي ؟ فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام ثم قال : يا شيخ إنْ أبقاك الله حتى ترى قائمنا كنت معنا في السنام الأعلى ، وإن حلّت بك المنيّة جئتَ يوم القيامة مع ثَقَل محمد صلى الله عليه وآله ونحن ثقله ، قد قال : إني مخلّفٌ فيكم الثَّقَلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فقال الشيخ : لا أبالي بعدما بعد ما سمعت هذا الخبر .

ثم قال الصادق عليه السلام : يا شيخ إن قائمنا يخرج من صلب الحسن من صلب علي ، وعلي يخرج من صلب محمد ومحمد يخرج من صلب علي ، وعلي يخرج من صلب ابني هذا ـ أشار إلى موسى ـ وهذا خرج من صلبي ، يا شيخ واللهِ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا أهل البيت ، إلا أن شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته ، هناك يثبّتُ الله على هداه المخلصين ، اللهم أعنهم على ذلك[1].

ومما استدل به الاستاذ محمد عيسى على أن المهدي هو ابن الحسن ما نقله من مخطوط قال عنه : إن ملك السويد ((كارل جوستاف السادس عشر)) اشتراه من مكتبة بانجلترا ، خاصة بأحد المفكرين الأنجليز بعد وفاته ومؤلفه اسمه جاد المولى خير الدين الأمين ، من علماء القرن الرابع الهجري ومن أبناء المدينة المنورة ، والنسخة الأصلية يحتفظ بها الملك في مكتبة قصره بإستوكهولم ، وما نقله من هذا المخطوط قوله : صرخة في مكة ـ كرمها الله ـ تهزُّ الدنيا ، والكرب العظيم يعمّ المدينة التي أُسري بالنبي إليها ... وكلٌّ حاشدٌ جيوشاً ، أخزى سرهم أبن الحسن المهدي الأمين[2].

إن هذا النص يُعَدُّ دليلاً قوياً على أن المراد بابن الحسن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ، المشهور بين العامة والخاصة بـ((ابن الحسن)) لعدم التصريح باسمه ، وذلك لكثرة الروايات في كونه من ذرية الحسين عليه السلام وضعف الرواية الواردة في كونه من ذرية الحسن عليه السلام .

---

(1) كفاية الأثر .

(2) المهدي المنتظر على الأبواب / ٢٢٦ .

وقد ورد فيه الدعاء المشهور الذي يدعوا به اتباع أهل البيت عقب كل صلاة وهو : اللهمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابن الحسن ، صلواتك عليه وعلى آبائهِ في هذه الساعةِ وفي كُلِّ ساعةٍ ، وَلِيّاً وحافظاً ، وقائداً وناصراً ، ودليلاً وعيناً ، حتى تُسْكِنَهُ أرضَكَ طَوْعاً ، وتُمَتِّعَهُ طَويلاً .

ما أُدعيّ بأن المهدي اسمه محمد بن عبد الله

والقائلون بهذا استندوا إلى أحاديث رفعت إلى النبي ﷺ فيها عبارة ((اسم أبيه اسم أبي)) وهي :

١ـ الحديث الذي أورده ابن أبي شيبة ، والطبراني ، والحاكم ، كلهم عن طريق عاصم بن ابي النجود ، عن زِرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : ((لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي))[١].

٢ـ الحديث الذي أخرجه أبو عمرو الداني ، والخطيب البغدادي ، كلاهما عن طريق عاصم بن ابي النجود ، عن زِرّ بن حبيش ، عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : ((لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجلٌ من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي))[٢].

٣ـ الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد ، والخطيب ، وابن حجر ، كلهم من طريق عاصم أيضاً عن زرّ بن حبيش ، عن النبي أنه قال : ((المهدي يوطئ اسمه أسمي ، واسم أبيه اسم أبي))[٣].

---

(١) المصنف /١٩٨ /١٥ ابن ابي شبه رقم الحديث ١٩٤٩٣ ، المعجم الكبير/ ١٠/ ١٦٣ للطبري رقم الحديث ١٠٢١٣ و ١٠٢٢٢ ، المستدرك /٣/ ٢٦١ الحاكم النيسابوري ، واورده المجلسي في البحار / ٥١/ ٨٢ نقلاً عن كشف الغمة الأربلي /٣/ ٢٧١ .

(٢) سنن أبي عمرو الداني /٩٣ ، تاريخ بغداد /١/٣٧٠ .

(٣) تاريخ بغداد /٥/ ٣٩١ ، الفتن ، ٣٦٧ نعيم بن حماد رقم الحديث ١٠٧٦ ، وقال وسمعت غير مره لا يذكر (اسم ابيه) ونقله ابن طاووس في التشريف بالمنن /١٥٦ ، عن فتن ابن حماد .

٤ـ الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد ، بسنده عن أبي الطفيل ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((المهدي اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي))[1].

ومما تجدر الإشارة إليه قبل مناقشة هذه الأحاديث أن بعض المصادر الشيعية قد نقلت تلك الأحاديث ، على الر غم من مخالفتها أصول مذهبهم ، وذلك حفاظاً على أمانة النقل من كتب أهل السنة .

---

(١) الفتن / ٣٧٨/١ .

والتحقيق في ذلك

وإذا درسنا تلك الأحاديث دراسة موضوعية تتبيّن لنا الحقائق التالية :

١ـ إن سند الحديث الرابع ضعيف باتفاق علماء الدراية ؛ إذْ وقع ((رِشْدِينُ المهري)) وهو رشدين بن أبي رشدين ، وقد اتفق علماء الرجال على ضعفه ، فعن أحمد بن حنبل : أنه ليس يبالي عمّن روى ، وقال حرب ابن إسماعيل : سألتُ أحمد حنبل عنه فضعَّفه ، وعن يحيى بن معين : لا يُكتب حديثه ، وعن أبي زرعة : ضعيف الحديث ، وقال الجوزجاني : عنده معاضيل ومناكير كثيرة ، وقال النسائي : متروك الحديث لا يُكتب حديثه[1].

وبناءً على اتَّضاح ضعف السند في حقيقة رشدين بن أبي رشيدين فإن الحديث الرابع يُعَدُّ ساقطاً ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، ولا يؤخذ عنه مثل هذا الأمر العظيم الذي يتعلّق بالمهدي .

٢ـ إن الأحاديث الثلاثة الأولى كلها ينتهي إسنادها إلى ابن مسعود عن النبي والملاحظة ﷺ التي المهمة التي يجب تسجيلها هنا أن كبار الحفاظ والمحدثين الذين اسندوا أحاديث المهدي إلى ابن مسعود لم يذكروا عبارة ((واسم أبيه اسم أبي)) في جميع الأحاديث التي رووها عن ابن مسعود ، وأثبتوا عبارة ((اسمه اسمي)) فقط ، فإن أحمد بن حنبل ـ وهو مشهور بضبطه

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٢٤٠/٣ ، ابن حجر العسقلاني ، وتهذيب الكمال ١٩١/٩ ، المزي ، تجد فيهما جميع ما ذكر بحق رشدين بن أبي رشيدين .

وإتقانه ـ روى الحديث عن ابن مسعود في عدة مواضع من مَسنده وفيها ((اسمه أسمي)) وليس فيها الزيادة ((واسم أبيه اسم أبي))[1].

وروى الترمذي الحديث من دون ذكر الزيادة ((واسم أبيه اسم أبي)) واشار إلى أن المروي عن علي وأبي سعيد الخدري ، وأم سلمة ، وأبي هريرة هو لفظ ((اسمه اسمي)) فقط وقال بعد رواية الحديث عن ابن مسعود بهذا اللفظ : وفي الباب عن علي ، وأبي سعيد الخدري ، وأم سلمة ، وأبي هريرة ، وهذا حديث حسن صحيح[2].

وأخرج الحاكم في مستدركه الحديث عن أبن مسعود بلفظ ((يوطئ اسمه اسمي)) ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[3].

وروى البغوي الحديث في مصباح السنة عن ابن مسعود ، وليس فيه ((واسم أبيه اسم أبي)) وصرّح بأنه حديث حسن[4].

وأخرج الحديث الطبراني عن ابن مسعود نفسه من طرق أخرى بلفظ ((اسمه اسمي))[5].

وأورد المقدسي الشافعي الحديث في عقد الدرر ، عن ابن مسعود نفسه وليس فيه الزيادة ((واسم أبيه اسم أبي)) وقال بعد أن أورد الحديث : أخرجه جماعة من أئمة الحديث جماعة في كتبهم ، منهم أبو عيسى الترمذي في

---

(1) مسند أحمل بن حنبل /٣٧٧/١ ، ٣٧٧، ٤٣٠، ٤٤٨.

(2) سنن الترمذي /٥٠٥/٤ رقم الحديث ٢٢٣٠ .

(3) مستدرك الصحيحين / ٤/ ٤٤٢ .

(4) مصباح السنة /٤٩٢ رقم الحديث ٤٢١٠ .

(5) المعجم الكبير الأحاديث / ١٠٢١٤ ، ١٠٢١٥ ، ١٠٢١٧، ١٠٢١٨، ١٠٢١٩، إلى ١٠٢٣٠ .

جامعه ، والإمام أبو داود في سننه ، والحافظ أبو بكر البيهقي ، والشيخ أبو عمرو الداني ، كلهم هكذا أي ليس فيه ((واسم أبيه اسم أبي)) وأورد المقدسي بعد ذلك عدداً من الأحاديث التي أخرجها جماعة من الحفاظ ، كالطبراني ، وأحمد بن حنبل ، والترمذي ، وأبي داود ، والبيهقي ، عن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وحذيفة[1].

ويضاف إلى ذلك كله أن الحافظ أبا نعيم الأصفهاني المتوفي سنة ٤٣٠ هـ قد تابع طرق رواية الحديث عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود في كتابه ((مناقب المهدي)) حتى أوصلها إلى واحد وثلاثين طريقاً ، ولم يُرْوَ في واحد منها عبارة ((واسم أبيه اسم أبي)) بل اتفقت كلها على رواية ((اسمه اسمي)) فقط ، وقد نقل نصَّ كلام نعيم الكنجي الشافعي المتوفي سنة ٦٣٨هـ في كتابه ((البيان في اخبار صاحب الزمان)) ثم عقب عليه قائلاً : ورواه غير عاصم من زرّ ، وهو عمرو بن حرة عن زرّ كل هؤلاء رووا ((اسمه اسمي)) إلا ما كان من عبيد الله بن موسى عن زائدة ، عن عاصم ، فإن فيه ((واسم أبيه اسم أبي)) .

ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها ... والقول الفصل في ذلك أن الإمام أحمد ـ مع ضبطه وإتقانه ـ روى هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع ((اسمه اسمي))[2].

---

(1) عقد الدرر / ٥١ ــ ٥٦ الباب ٢ .

(2) البيان في أخبار صاحب الزمان الكنجي الشافعي ٤٨٢ .

وبعد هذا البيان يمكن القول : أنه لا يُعقل هؤلاء الأئمة الحفاظ الذين رووا الحديث من طريق ابن مسعود قد أسقطوا العبارة ((واسم أبيه اسم أبي)) إلا إذا كانت ليست موجودة في أصل الحديث .

وتبين من ذلك كله أن العبارة ((واسم أبيه اسم أبي)) قد زيدت في أصل الحديث المروي عن ابن مسعود من طريق عاصم لأسباب سياسية أو لأسباب عقائدية .

فإما أن تكون هذه الزيادة قد حصلت بفعل الحسنيين الذين يدّعون أن المهدي ((محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى)) أو تكون هذه الزيادة قد حصلت بفعل العباسيين الذين يدّعون أن الخليفة العباسي ((محمد بن عبد الله)) الملقب بالمهدي المنتظر وعبد الله هو أبو جعفر المنصور العباسي .

إن الأساس الذي بنى عليه هؤلاء عقيدتهم في المهدي قد تمّ نسفه بالأدلة في مناقشة الأحاديث التي ذكرت عبارة ((واسم أبيه اسم أبي)) وإذا أضفنا إلى ذلك ما ذكرناه سابقاً أن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ وهم الثقات بإجماع علماء المسلمين ـ قد عيّن كلّ منهم المهدي بأنه محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب صلوات ربي عليهم أجمعين .

وأضفنا أيضاً ما ذكرناه من شهادة الإمام الحسن العسكري بولادة ابنه محمد ، وأنه هو المهدي تمتد إليه الأعناق بالانتظار ، وشهادة الشهود الذين رأوه ، واعترافات علماء المسلمين من الفريقين ، تبين لنا أنَّ مَنْ ينتظر مهدياً باسم ((محمد بن عبد الله)) كمَنْ ينتظر وهماً أو سراباً[1].

---

(1) عصر السفياني / ٧١ وما بعدها ، د . عبد الكريم الزبيدي .

الظروف السياسية التي احاطت بولادة الإمام المهدي

من الواضح لدى كل مَنْ له إلمام بالتاريخ الإسلامي وبسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام وبصراعهم مع الخطين الأموي والعباسي ، من الواضح لدى المطلع على مجرى هذا الصراع ، أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وخطهم الفكري والسياسي كان يشكل قوّة المعارضة والمواجهة السياسية لتلك الاتجاهات والسلطات ، لذلك تحمل أهل البيت عليهم السلام ألوان المحن والقتل والملاحقة والسجن والتشريد ، وكثيراً ما اضطرت المحن وتردي الاوضاع أل علي إلى الثورة والصراع المسلّح .

وينقل لنا المؤرخون المعاناة العصبية التي عايشها الإمام الحسن العسكري من حكام عصره العباسيين ، ومواجهتهم ، كما يحدثنا عن اضطراب الاوضاع الأمنية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية واشتداد خوف السلطة من أئمة آل البيت عليهم السلام .

وفي تلك الفترة المضطربة يُثبتُ الرواة ولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام ولأهمية هذه الشخصية العظيمة ، ودورها التاريخي الخطير في حياة البشرية الذي يحقق اهداف الرسالات الإلهية ينبغي لنا أن نعرف الظروف السياسية التي احاطت بولادته وغيبته ، كما دونتها مصادر التاريخ وقد اشرنا جملة منها .

فقد بزغ نور دولته المباركة المنتظرة في عهد الخليفة العباسي محمد بن الواثق بعد توليه الخلافة بما ينيف على عشرة أيام ، فقد نقلت متب التاريخ

الأوضاع السياسية المضطربة بالشكل الذي جعل البيت العباسي يعيش في حالة من الصراع الداخلي والتردي الاخلاقي وتنازع الآباء والأبناء والأخوة فيما بينهم على السلطة والملذات مما أضعف هيبة السلطة وجَرَّأ عليها القيادات العسكرية وذوي المراكز السياسية وأصحاب النفوذ ، وبشكل جعل من الخليفة العباسي العوبة بيد هذه القوى ، خصوصاً الاتراك الذين كانوا يحتلون مواقع مؤثرة في السلطة آنذاك كما فسحت تلك الظروف السياسية المضطربة المجال أمام الثوّار العلويين للتحرك والانطلاق بثوراتهم ضد السلطة العباسية في تلك المضطربة التي احاطت بولادة محمد بن الحسن المهدي ، قُتل المعتز ،قتل في رجب سنة ٢٥٥ هـ أي قبل ثمانية عشر يوماً من ولادة المهدي على ما يستفاد من مجمل الروايات التاريخية المتحدثة عن تلك الفترة ، وبعد المعتز ولي الخلافة ابنه المهتدي في اليوم الذي مات فيه أبوه .

وهكذا يتضح أن الإمام المهدي وفق الروايات قد ولد في عهد محمد المهتدي الذي استمر حكمه نحو سنة ، ثم وقع الخلاف بينه وبين الاتراك فأجهزوا عليه وقتلوه وكانت وقاته في رجب ٢٥٦ هـ ثم ولي الخلافة من بعده المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل العباسي في اليوم الذي مات فيه المهتدي .

لنقرا الوثائق التاريخية التي تحدثت عن تلك المرحلة ولنعرف المحنة التي احاطت بآل ابي طالب من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام لنشخص الظروف التي احاطت بغيبة الإمام المهدي والمعاناة الصعبة التي غيّرت أحداث التاريخ لقد حدثت في تلك الفترة ملاحقات ظالمة للعلوين كما وقعت ثورات وانتفاضات علوية ، فقد سجل لنا أبو الفرج الاصفهاني اسماء الطالبين الذين

قتلوا أو حبسوا أو ماتوا بالحبس والتعذيب في سجون العباسيين . وواضح أن الخلفاء العباسيين كانوا قد عهدوا الإمامة في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعاصروا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من بداية تسلّمهم السلطة سنة ١٣٢ هـ .

وبدأ صراعهم مع أئمة أهل البيت ممتداً الواحد تلوا الآخر ، فقد اشتبكوا في صراع مع موسى بن جعفر عليه السلام وسجنوه حتى مات في السجن ، وقد فَتِرَ هذا الصراع في عهد المأمون العباسي في حياة الإمام علي بن موسى الرضا وولده محمد بن علي الجواد عليهما السلام ثم استؤنف الصراع ضارياً وإرهابياً ضد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي تحمل أعباء الإمامة بعد وفاة أبيه الجواد عليه السلام مباشرة وامتدت هذه المواجهة الحادة والعنيفة من قِبل المعتز والمهتدي والمعتمد مع الإمام الحسن بن علي العسكري والد الإمام محمد المهدي عليهما السلام .

ويحدثنا الشيخ المفيد أن الخوف والإرهاب والملاحقة لآل علي ومعرفة الخليفة بأن الإمامة في ذرية الحسن العسكري عليه السلام وإصراره على استئصال امتداد الإمامة هو الذي دعا الإمام العسكري إلى التكتم على ولده وعدم الإعلان عن ولادته قال :

وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق ، وكان قد اخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدّة طلب سلطان الزمان له واجتهاده في البحث عن أمره ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه ، وعرف من انتظارهم له ، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته ولا عرّفه الجمهور بعد وفاته ، وتولى جعفر بن علي أخو

أبي محمد عليه السلام أخذ تركته وسعى في حبس جواري أبي محمد عليه السلام واعتقال حلائله وشَنّعَ على أصحابه بانتظارهم ولده ، وقطعهم بوجوده والقول بإمامته ، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم وجرى على مُخلفي أبي محمد عليه السلام بسبب ذلك كلُّ "عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذلّ ولم يظهر السلطان منهم بطائل وحاز جعفر ظاهراً تركة أبي محمد عليه السلام واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه ولم يقبل أحدٌ منهم ذلك ولا اعتقد فيه[1].

وفيما يأتي نوردُ جانباً من حوادث تلك المرحلة والصّراع الفكريّ الذي جرى فيها بين الشيعة والأتباع وما استقرّ عليه الرأي عندهم ولاستيضاح تلك الصورة التاريخية فلنقرأ ما كتبه أبو محمد الحسن النوبختي من أعلام القرن الثالث الهجري ، ومن علماء الشيعة البارزين في تلك الفترة وممن عاش في تلك الحقبة التاريخية ، وكتب عن الآراء والفرق التي نشأت بعد وفاةِ الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما نصه : وولد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفي بسرّ مَنْ رأى يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلوْن من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه أبوه وهو ابنُ ثمان وعشرين سنة وصلّى عليه أبو عيسى بن المتوكل[2] وكانت إمامته خمس سنين وثمانية أشهر

---

(١) الإرشاد / ٣٤٥ .

(٢) الظاهر من النصوص التاريخية أن الإمام العسكري عليه السلام صُلّي عليه عدة مرات مرة ، منها هي ما ذكره النوبختي ، ومنها صلّى عليه عثمان بن سعيد السفير الأول ، وتكفل بدفنه وتجهيزه ، ومنها أخوه جعفر بن علي ونحّاه الحجة بن الحسن عليه السلام وظهر للناس عياناً ، وقد كرّست السلطات كل أمكانياتها

وخمسة أيّام وتوفّي ولم يُر له أثر ، ولم يُعْرَفْ له وَلَدٌ ظاهر ، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر ، وأمّه ، وهي أم ولد يقال لها عسفان ، ثمّ سمّاها أبو الحسن حديثاً فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة .

- ففرقة منها قالت : إنّ الحسن بن عليّ حي لم يمُت إنّما غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر ، لأنّ الأرض لا تخلو من إمام .

وقالت أخرى : إنّ الحسن بن عليّ مات ، وعاش بعد موته وهو القائم المهدي .

وقالت فرقة : بل ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر وأنَّ الذين ادّعوا له ولداً في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم ، لأنّ ذلك لوكان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد .

وقالت فرقة : إنّ الحسَنَ بن عليّ قد صَحَّتْ وفاةُ أبيه وجدّه وسائر آبائه عليهم السلام فكما صَحَّتْ وفاته بالخبر الذي لا يكذّب مثله فكذلك صَحَّ أنه لا إمام بعد الحسن وذلك جائز في العقول والتعارف .

وقالت فرقة : إن الحسن بن علي كان إماماً وقد توفّيّ وأنَّ الأرض لا تخلو من حجّة ونتوقّفُ ولا نقدّم على شيء حتى يصحّ لنا الأمرُ ويتبيّن .

وقالتْ فرقَةٌ : وهم الإمامية ليس القول كما قال هؤلاء كلّهم ، بل لله عزَّ وجَلّ في الأرض حُجّة من ولد الحسن بن علي وأمرُ الله بالغ وهو وصيّ لأبيه على المنهاج الأول والسنن والماضية .

لكي يقبضوا عليه فلم يستطيعوا ، فلا داعيَ أنْ نقولَ : أنَّ النصوص في هذا المورد متعارضة ومضطربة ومشوّشة فلا يمكن الاعتماد عليها البتة .

فنحن مسلّمون بالماضي وإمامته مُقرّون بوفاته معترفون بأنَّ له خَلَفاً قائماً من صلبه وأن خلفه هو الإمام من بعده حتى يظهر ويعلن أمره إذ هو عليه السلام مغمور خائف مستور بستر الله تعالى[1].

وهكذا توضّح لنا هذه القراءة لتلك الفترة اضطراب الآراء ، وتعدّد الفرق في صفوف الشيعة في تحديد وتشخيص شخصيّة الإمام المهدي عليه السلام بسببِ الظّروف السياسية والتعقيدات الصّعبة التي كانوا يعيشونها آنذاك واستقرَّ الأمر على ما قالت به الشّيعة الإمامية وهو الإمامُ المهديّ هو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام الذي ولد بسر مَنْ رأى قبل وفاة أبيه بخمس سنين وشاءَ اللهُ أنْ يؤجّل ظهوره ليملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئت ظُلماً وجوراً.

وقد فصلنا القول حول ذلك في كتابنا المعد للطبع ((راية الإمام المهدي وعلامات الظهور والقيام)) .

---

(١) فرق الشيعة النوبختي / ١٠٥ وما بعدها .

القسم الثاني

تحقيق حول مسألة المشاهدة

وروى الشّيخُ الصدوق رحمه الله قال : حَدَّثَنا أبو محمد أحمد بن الحسن المكتّب قال : كنتُ بمدينةِ السّلام في السّنَةِ التي تُوفّي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السّمري قدّس سره ، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليّ بن محمّد السّمري عظّم الله أجر إخوانك فيك فإنّكَ ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ، ولا توصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وَقَعتِ الغيبة الثانية ((وفي روايةِ الشّيخ الطوسي في الغيبة : التامة)) فلا ظهورَ إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة ، ألا فَمَنِ ادّعى المشاهَدَةَ قبل خروج السفياني والصّيحة فهو كاذب مفتر((وفي رواية الطوسي في الغيبة ، والطبرسي في الاحتجاج ، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار ((كذّاب مفتر)) ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللهِ العلي العظيم .

قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلمَّا كانَ اليومُ السادِسُ عدنا إليه وهو يجودُ بنفسه فقيل له : من وصيّك من بعدك ؟

فقال رحمه الله : لله أمرٌ هو بالغه ، ومضى عليه السلام ، فهذا آخرُ كلامٍ سُمِعَ منه رحمه الله[1].

أثار هذا التوقيع الأخير جدلاً حول مسألة رؤيته عليه السلام وعدمها وقد وقع الخلاف بين أعلام الطائفة في هذا الخصوص ، حيث نتجَ عن ذلك اعتقادان عن إمكانية الرؤية وجوازها ، وعدمِ الإمكان وامتناع الرّؤية في زمن غيبته عليه السلام فمنهم مَنْ ذَهَبَ إلى الإمكان ، ومنهم من نفى ذلك على ما سوف تقف على التفاصيل .

وقبل توضيح ذلك علينا أنْ نذكر بأنّه لاشكّ ولا ريبَ عند اعلام الطائفة الإمامية جميعاً ، أنَّ الإمام المهديّ عليه السلام كان في عصر الغيبة الصُّغرى على اتّصالٍ دائم بشيعته ولم ينقطع عنه ، إذ كان يتقصّى الشيعة ويتفقّد أخبارهم ، وهكذا يتفقّدون أخباره عِبْرَ سُفَرائه الأربعة الذين مثّلوا حلقة الوصل بينه وبينهم ، فكانت تَرِدُ عليه كتبهم ، ورسائلهم فيَجِبُ عنها ويردّ على أسئلتهم ، وتخرُجُ إليهم تواقيعُ من ناحيته المقدَّسة ، وقد وَرَدَتْ في بعض كُتُبِ الأعلامِ ودَوَّنها الثّقاتُ ممّنْ لا يرد أدنى شكّ أو شبهة في صدقهم وإخلاصهم ، فقد أوْرَدَ الشّيخُ الطوسيّ رحمه الله تواقيعَ خَرَجَتْ من الناحية المقدّسة إلى جملة من الثّقات الأخبار كأبي الحسين محمّد بن جعفر الأسدي[2] وأورد غيره من الأعلام تواقيعَ لآخرين خرَجَتْ من ناحيتِهِ المقدّسة ، كما خرَجَتْ تواقيع أُخر عديدة تلعن الذين ادّعوا النيابة الخاصة كذباً وزوراً

---

(1) كمال الدين / ٤٨٠ ، الغيبة / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، الاحتجاج / ٢٩٧ ، بحار الأنوار / ١٥ / ٣٦١ .

(2) الغيبة / ٤١٥ .

وتتبرأ منهم وأشخاصهم كالشَّريعيّ ، ومحمّد بن نصير النُّميريّ ، وأحمد بن هلال الكرخيّ ، والشلمغاني وغيرهم[1].

كما وفّق جماعة من خواصّ الشيعة وثقاتهم لفيض لقائه عليه الصلاة والسلام في مواطن عدّة ، بل كانَ الشّيَعةُ يشدّون الرّحال إلى العراق والحجاز ـ لاسيّما في أيّامِ الحجّ وعند أداءِ مناسِكِهِ ـ بحثاً عنه وابتغاءِ الفوزِ بشَرَفِ لقائه عليه السلام فكَمْ من هؤلاءِ قد أدركوا ونوّابه الخواصّ ، وأيقنوا بوجودِهِ وسلّموهم الوجوه الشرعية وأدّوا إليهم الحقوق التي كانت عليهم وتلقوا إجابات وردُوداً على أسئلتهم التي بعثوها إلى ناحيته المقدسة واشتهر ذلك عند الشيعة حتى غدا من المسلّمات لديهم لا تعتريه شكٌّ ولا شبهة ، حرصاً منهم على تقصّي أخبار إمامهم ، وتفقُّد أحواله ، وتثبيتِ عقائدهم وترسيخ دعائم إيمانهم بأدلّةٍ قطعيّةٍ من العلم والوجدان ، وتطهيرِ معتقداتهم من الخرافة والأوهام .

فقد أوْرَدَ الشّيخُ الصّدوقُ رحمه الله أسماء جماعةٍ ممن أدركوا المأمول وتحققّت لهم آمالهم بمشاهدَتهِ والفوز بلقائه وقرّت أعينهم برؤية حُسنِهِ وجماله الملكوتي[2].

---

(1) ذكرنا ذلك مفصلاً في كتابنا حياة السفراء الأربعة للإمام المهدي .

(2) كمال الدين / ٤٣٤ .

المشاهدة في الغيبة الكبرى

لَقَد بَذَلَ الشيعةُ اهتماماً خاصّاً بموضوع الإمكان الوقوعيّ لرؤية الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ ، وشرف اللّقاء به في عصر الغيبة الكبرى وألفّوا في ذلك كتباً استدلالية تَبْحَثُ الإمكان وعدمه ، فهل الرؤيَةُ ممكنة في هذا العصر أولا ؟ وعلى فرض الإمكان فما حُدودُ الرؤية الممكنة ؟ هل ممكنةٌ لكلِّ أحدٍ أم للخواصّ والأوحديّ من الشيعة ؟ وهل هي مختصّة بظروف طارئة أم لا ؟ وهل يعرفه الرائي عند اللقاء أم لا يعرفه ؟ وهل يمكنُ أخذُ معالم الدّين والأحكام الشّرعية عنه ؟ وهل تُطرَحُ عليه الشُّبهاتُ فيجيب عنها ؟ فمَا الذي نَطَقَتْ به الأحاديثُ والأخبار في هذا الخصوص ؟ وماذا قال عُلماءُ الطّائفة في ذلك ؟

وَقَعَ الخِلافُ في أصل الرؤية وإمكانِ اللقاء بالإمام عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى ، بين أعلامِ الطّائفة ، فمنهم مَنْ قال بالإمكان ، ومنهم من نفى ذلك من الأساس ، ثمّ إنّهم اختلفوا في معنى الرؤية والمراد منها ؟ لذا علينا أنْ نَبحثَ هذه الأبحاث على نحو التفصيل ، من ذكر معنى الرؤية ، وذكر أدّلة المثبتين لها ، ثم ذكر أدلّة النافين والإجابة عليها لكي تتّضِحَ الصُّورَةُ جلياً على تلك الأسئلة التي لا زَالَتْ تُشْغِلُ حيّزاً من بال الطائفة صّغيرهم وكبيرهم ، وشريحة واسعة من أهل العلم وعلماء الطائفة رغم كثرة التأليف والتصنيف والتحقيق في هذا الباب .

الفرق بين الرؤيا والمشاهدة

الرُّؤيَةُ هي أعمُّ من الرؤية مع المعرفة ، والرؤية من غير معرفة به عليه السلام إذ الرؤية تُطْلَقُ على ما رآه الإنسانُ بعينه مطلقاً ، سواء كانت مقرونة بالمعرفة أو كانت خالية من المعرفة .

وبعبارةٍ أخرى : الرّؤيَةُ هي الإبصار أعمُّ من كونها مع المعرفة الحالية أو المتأخرة ، أو عدم المعرفة بالمبصر المرئي أصلاً ، لا في الحال ولا في المستقبل .

بيان ذلك : أنّ المرء قد ينال شرف رؤية الإمام الغائب عليه السلام وهو لا يعرفه حينئذٍ ، بل يجهله ساعة رؤيته له عليه السلام وهو ربما عرفه بعد ذلك أي بعد ما غاب عنه وفارقه وغادر ذلك المكان ، لظهور قرائن قطعية دالة على أنّه الإمام صاحب الأمر صلوات الله عليه أو لشواهد وقرائن باعثة على الاطمئنان ، وقد يبقى جاهلاً به طيلة حياته ـ ويظلُّ في جهله لا يعرفه دهراً بل دهوراً وربّما حالفه الحظُّ وشمله التوفيق فنالَ شَرَفَ العلم وحاز على مرتبة المعرفة بأنّه هو الإمامُ أرواحنا فداه .

فالرؤيَةُ هي الابصار مطلقاً بغضّ النظر عن المعرفة وعدم المعرفة ، وهي :

١ـ إمّا خالية من المعرفة أصلاً سواء المعرفة الحاليّة أو المستقبلية المتأخرة عن زمن الرؤية .

٢ـ وإمّا ملحوقة بمعرفة بالمرئيّ والمبصر بعد ذِهَابِهِ وغيابه ومغادرته المكان ، وهي تسمى المعرفة اللاحقة أو المتأخرة .

٣ـ وإمّا أنْ تكون مصحوبة بالعلم والمعرفة ، فيكون الرّائي حال رؤيته عارفاً بالمرئيّ معرفة عينيّة خالية من كلِّ شائبة ، وتسمّى المعرفة الحالية أو المتّصلة أو المتزامنة ، وتسمّى هذه الرؤية بالمشاهدة .

وهذا النوع من الرؤية ـ أعني المشاهدة ـ على قسمين ووجهين أيضاً :

أـ المشاهدة الخالية من المحادثة .

ب ـ المشاهدة التي ترافقها المحادثة والحوار والسؤال والجواب .

وهذا الأخير : إمّا الصُّحبة لساعات أو يوم أو أيام ، وإمّا من غير صُحْبَة كذلك .

فالمُشاهدة التي هي من أقسام الرؤية ، لكنّها الرؤية الخاصة عبارة عن المعاينة مع الحضور الحقيقي ـ الجسماني ـ والمعرفة العينية ، بحيث يعرف المرئي بشخصه ويميّزه عمَّن سواه .

وقال صاحب كتاب اللمعة البيضاء : الشهادة تجيء بمعنى الحضور والمعاينة يقال : شهده متعدّياً بنفسه ، أي حضره وعاينه ، ومنه الشّاهد يرى ما لا يراهُ الغائب و﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

والشهود والشهادة حضور مع المعاينة والمشاهدة ، سواء كان بالبصر أو البصيرة ، والثاني يرجع إلى معنى العلم ، والأولى أن يستعمل في الحضور المجرد ـ الشهود ـ وفي الحضور مع المشاهدة ـ الشهادة ـ وإنَّ الشهادة قد تطلق على القول الصّادر من العلم الحاصل بالبصر أو البصيرة إلى أنْ يقول : ومنه

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٨٥ .

المشاهَدَةُ بمعنى المعاينة ، وهو أعمُّ من الحضور لجوازِ الاطّلاع من بعد بدون صِفَةِ الحضور[1].

وذَكَرَ الرّاغبُ أنَّ : الشّهودَ والشَّهادة الحضورُ مع المشاهدة ، إمّا بالبصر أو بالبصيرة ، لكنّ الشّهود بالحضور المجرّد أولى ، والشّهادة مع المشاهدة أولى ، ويُقالُ للمحضر مشهد[2].

وقال ابن منظور : والمشاهدة : المعاينة ، وشهد شهوداً أي : حضره فهو شاهد[3].

ومَنْ يَدّعي مشاهَدَة صاحب الأمر أرواحنا له الفداء ، فهو يدّعي رؤيته العينية مع العلم به ومعرفة شخصه عليه السلام وقد يزيدُ عليها أدّعاء المحادثة والمحاورة والمجالسة ، قليلاً أو كثيراً وطويلاً أو قصيراً .

وهذا القسم الأخير أعلى مراتب التوفيق ، وأعظم درجاتِ المعرفة والنّعيم ، حيثُ لا يناله إلا ذو حظٍّ عظيمٍ من الخواصّ ، بل أخصّ الخواص .

وهناك الرؤيا المنامية : وهي ليست من الرؤية العينية ، لأنّها عن رؤية الشّيء أو الشخص في المنام لا في اليقظة .

وأخرى تسمّى برؤية الكشف والشهود : وهي عبارَةٌ عن حصول العلم والمعرفة بوجودِ الإمام عليه السلام وحياتِهِ عن طرق السير والسلوك وتهذيب النفس والرياضات النفسانية والمكاشفات والإشراقات الروحانية ، كأنْ يدرك

---

(1) اللمعة البيضاء / ٣٦٦ .

(2) مفردات الراغب الاصفهاني / ٢٦٧ .

(3) لسان العرب / ٣/ ٢٣٩ ، والصحاح / ٢/ ٢٩٤ ، وكتاب العين / ٣/ ٢٩٧ .

أهل الكشف والشّهود والعارفون الصّادقون بما لهم من قوى إشراقية مدركة لحقائق العوالم العلوية والسّفلية والأكوان والطبيعة وما وراء الطبيعة أنّه لابدّ من حياته ويعرفونَهُ بعينه ، وقد يَزْعُمونَ رؤيَتَهُ بالعينِ المجردة أيضاً عن طريق المكاشفة الحضُوريّة والارتباط به عليه السلام كذلك .

فهذه أربعة أنواع ـ أي الرؤيا الأعمّ ، والمشاهدة بالبصر أو البصيرة ، والرؤيا المنامية ، ورؤية الكشف والشهود ـ أساسية من وجوه وطرق اللقاء والرؤية والتشرّف بمحضر مولانا صاحب الأمر وقطب دائرة الإمكان صلوات الله وسلامه عليه .

والكلامُ في مبحثنا هذا عن الرؤية بمعنى المشاهدة والمشاهدة بجميع أقسامها ووجوهها لأنّها موضع الشاهد والابتلاء .

وقد ذَكَرْنا بأنَّه وَقَعَ النّزاعُ في إمكان المشاهدة في عصر الغيبة الكبرى بين مثبتٍ ونافٍ فيقَعُ الكلامُ فيها ، وفي المسالة قولان :

الأول : عدم الإمكان الوقوعي قطعاً ، أي لا يمكن المشاهدة لأحد قبل الظهور ، وهو امتناع وقوعي واستحالة وقوعيّة .

الثاني : إمكانُها واختصاصُها بالأولياء ، وأخصّ الخواصّ والأوحديّ من الناس .

وأمّا الكلامُ في القسم الأول وهو الرؤية مع الجهل المطلق ، والقسم الثاني من الرؤية ، وهو الرؤية مع المعرفة المتأخّرة فخارج عن محلّ الابتلاء بالتخصّص ، لعدم ترتّب أثر على الرؤية مع الجهل المطلق به عليه السلام .

كما أنَّ الكلام في القسمين الآخرين ، أعني : الرؤية المنامية والرؤية الكشفية الشهودية خارجان عن الموضوع بالتخصص لتأكيد النّصوص ولأنَّ الأدلّة والنّصوص منعت وقوع المشاهدة ولم تمنع إمكان وقوع الرؤية مع المعرفة اللاّحقة ، ولا وَجْهَ لردّ مثل هذه الدّعاوى إنْ كانت تستنِدُ إلى شواهد ودلائل وقرائن قطعية ، وتنبعث من كراماتٍ ومعجزات ، وتعتمد عليها تورثُ العلم واليقين ، أو على الأقلّ ظنية تفيد وتبعث على الاطمئنان ، وقد أوردَ الشيخُ الطوسيُّ رحمه الله هذا القسم وذَكَرَ جُملةً من الأحداث والقصص الحقّة التي في عَصرِهِ وقبل زمانه ، الدالّة على وقوعِ الرُّؤيَةِ مع جهل بشخصه عليه السلام ثمّ معرفته بعد غيابه عليه السلام عن الأنظار وخصّ باباً من أبواب كتاب الغيبة بمن رأوه ثم عرفوه[1].

---

(1) الغيبة / ٢٥٣ .

ذكر من قال باستحالة الرؤيا

ذَهَبَ جمعٌ من الأعلام والمحققّين إلى امتناع الاتصال بالإمام الحجة صلوات الله عليه مطلقاً ، لا بطريق الرّؤية ولا اللّقاء ولا الحضور ولا المشاهدة ، وقالوا بوجوبِ تكذيب مدّعي ذلك مطلقاً ، أيّاً كان وبأيّ نحوٍ يكون وأبرز هؤلاء الأعلام هم :

١ـ الشيخ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بأبن أبي زينب النعماني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ صاحب كتاب الغيبة .

قال رحمه الله بعد أنْ ساقَ جملةً من روايات الغيبة : هذه الروايات التي قد جاءت متواترة تشهدُ بصحة الغيبة وباختفاء العلم ، والمراد بالعلم الحجة للعالم ، وهي مشتملة على أمرِ الأئمّة للشيعة بأنْ يكونوا فيها على ما كانوا عليه ، لا يزولون ولا ينتقلون ، بل يثبتون ولا يتحوّلون ، ويكونون متوقعين لما وعدوا به ، وهم معذورونَ في أنْ لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبه ، ومحظور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره ، فضلاً عن المطالبة بمعاينته ، وقال لنا : إياكم والتنويه وكونوا على ما أنتم عليه ، وإياكم والشكّ ، فأهلُ الجهل لا علم لهم بما أتى عن الصّادقين عليهم السلام من هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بالإرشاد إلى شخصِهِ والدّلالة على موضعه ، يقترحون إظهاره لهم وينكرون غيبته لأنهم بمعزلٍ عن العلم .

وأهلُ المعرفة مسلّمون لما أمروا به ، ممتثلون له ، صابرون على ما ندبوا إلى الصّبر عليه وقد أوقفهم العلم والفقه مواقف الرّضا عن الله والتصديق لأولياء الله والامتثال لأمرهم ، والانتهاء عمّا نهوا عنه ، حذرون ما حذّر الله في كتابه من مخالفة رسول ﷺ الله والأئمة الذين هم في وجوب الطاعة بمنزلته لقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] ولقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[2].

وفي الحديث الرابع من هذا الفصل ـ حديث عبد الله بن سنان : ((كيف أنتم إذا صرتم في حالٍ لا ترون فيها إمام هدىً ، ولا عَلَماً يُرى)) دلالةٌ على ما جرى ، وشهادة بما حدث من أمر السّفراء الذين كانوا بين الإمام وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم ، وانقطاع نظامهم ، لأنَّ السفير بين الإمام حال غيبته وبين شيعته هو العَلَم ، فلمّا تمّت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا تُرى حتّى يَظهَرَ صَاحِبُ الحقّ عليه السلام ووقعت الحيرة التي ذكرت[3].

٢ـ الشيخُ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النّعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ الذي خصّ ذلك كلَّه بخدّام الإمام عليه السلام .

قال رحمه الله : فأمّا بَعْدَ انقراض من سمّيناه من أصحاب أبيه وأصحابه عليه السلام فقد كانت الأخبار عمّن تقدَّمَ من أئمة آل محمد ﷺ متناصرةٌ بأنه : لابُدَّ

---

(1) سورة النور الآية / ٦٣ .

(2) سورة المائدة الآية / ٩٢ .

(3) الغيبة النعماني / ١٦٤ .

للقائم المنتظر من غيبتين ، إحداهما أطول من الأخرى ، يعرف خبره الخاص في القصوى ، ولا يعرف العام له مستقراً في الطولى ، إلاّ مَنْ تولّ خدمته من ثقات أوليائه ، و لم ينقطع عنه إلى الاشتغال بغيره[1].

٣ـ الفيضُ الكاشاني المتوفّى سنة ١٠٩١ هـ في كتابه الوافي في بيان الحديث المتضمّن أنَّ الغيبة الكبرى لا يعرفه إلاّ الخواص ، قال رحمه الله : كأنه يريد بخاصّة الموالي الذين يخدمونه ، لأنَّ سائر الشيعة ليس لهم فيها إليه سبيل ، وأما الغيبة الأولى فكانَ له عليه السلام فيها سُفراءُ تخرج إلى شيعته بأيديهم توقيعات وكان أوّلهم...[2]

٤ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفّى سنة ١٢٢٨ هـ في كتابه الحقّ المبين في معرض ردّه على زعم بعض الأخباريين وجود الإمام عليه السلام وعياله في الجزيرة الخضراء المزعومة بقوله رحمه الله : وكأنّه لم يرَ الأخبار الدالّة على عدم وقوع الرؤية من أحدٍ بعد الغيبة الكبرى ، ولا تتبع كلمات العلماء الدالة على ذلك[3]. وغير ذلك من الاعلام .

وقد استدلّوا بروايات كثيرة دالّةٍ على هذا المعنى وهي على أربعة أصناف :

١ـ التواقيع ، كتوقيعِهِ عليه السلام لعليّ بن محمّد السّمري رضي الله عنه .

٢ـ الروايات الدالة على عدمِ معرفة الناس به وخفاءَه عليهم .

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ المفيد / المسائل العشرة في الغيبة / ٩٢ ، الرسالة الأولى في الغيبة / ١٢.

(٢) الوافي / ٢/ ٤١٤ ، كتاب الحجة .

(٣) الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الاخباريين ط الذخائر ٨٠ ، والطبعة الحجرية / ٨٧ .

٣ـ الرّوايات الدالّة على عَدَمِ رؤيةِ النّاس له عليه السلام في موسمِ الحجّ وعدم ظهوره لهم، أو عدم معرفتهم له وهم يرونه.

٤ـ الرواياتُ الدالّة على امتحانِ الشّيعة واختبارهم وغَرْبَلَتِهِم في زَمَنِ الغيبة.

أدلة النافين لرؤيته بعد الغيبة الكبرى

أهمّ الأدلّة القائمة على نفي المشاهدة في الغيبة الكبرى وأبرزها هو التوقيع الذي خَرَجَ من الناحية المقدسة عن السّفير الرابع عليّ بن محمد السّمري ﵁، وقد رواهُ أكثر علمائنا في كتبهم الروائية كالشيخ الصدوق[1] وشيخ الطائفة[2] وأمين الإسلام الطبرسي[3] والسيد ابن طاووس[4] والأربلي[5] والعلامة المجلسي[6] والفيض الكاشاني[7] والقطب الراوندي[8] والحر العاملي[9] العاملي[9] وغيرهم وجميعهم نقل الرّواية عن الشّيخ الصّدوق عن كتابه كمال الدين وقد استفاد النافي من قوله ﷺ ((وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة ، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني والصّيحة فهو كاذبٌ مفتر)) .

---

(1) كمال الدين / ٥١٦ .

(2) الغيبة / ٣٩٥ .

(3) الاحتجاج / ٤٧٨/٢ ، اعلام الورى بأعلام الهدى / ٤١٧ .

(4) مجمع الرجال القهبائي / ١٨٩/٧ ، نقلاً عن ربيع الشيعة ابن طاووس .

(5) كشف الغمة في معرفة الأئمة / ٣٢٠/٣ .

(6) بحار الأنوار / ٥١ ، ٣٦١ ، ومرآة العقول / ٥٣/٤ .

(7) نوادر الأخبار / ٢٣٣ .

(8) الخرائج والجرائح / ١٢٨/٣ الحديث ٤٦ .

(9) إثبات الهداة / ٦٩٣/٣ الحديث ١١٢ .

الدّليل الأول : نفيُ الرّؤيةِ مُطْلقاً ، وذلك بمقتضى التوقيع المذكور وأنَّ المدّعي أعمّ ممّن يطمئن إلى صدق ادّعائه ، أو كان كاذباً في ما يدّعيه ، أو التبس عليه الأمر فتوهّمَ ذلك حقاً ، فسواء كان محقّاً في دعواه بالأدلة والبراهين أو كان كاذباً أو متوهّماً وَجَبَ تكذيبه ، وردّ دعواه إليه بعدم الاكتراثِ إليه ولا ترتيبَ الأثر على مزاعِمِهِ وتقوُّلاته أو تصديقه في الصّورة الأولى وتكذيبه إذا ادّعى المشاهَدَةَ من غير دليلٍ ساطعٍ وبرهانٍ قاطع .

والجواب على ذلك : يكونُ في عدّة أجوبة :

الجوابُ الأوّل : حَمل التوقيع الشريف على دعوى المشاهدة مع ادعاء الوكالة أو السّفارة ـ معاً ـ عنه عليه السلام وإيصال الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السّفراء في الغيبة الصغرى ، وهذا الجواب للعلاّمة المجلسي[1] .

وهذا الجواب عليل لعدم وجود شاهد أو دليل على هذا الحمل فقد حمل العلامة المجلسي بالجمع التبرعي وهو مما ليس له وجه وجيه .

الجواب الثاني : إنَّ المشاهدة التي نفاها التوقيع هي الوكالة منه عليه السلام مباشرة ومشافهة دون السّفارة معاً لعلم المدّعيِ بانتهاء السّفارة بموت السفير الرابع رضي الله عنه وكون الوكالة ممّا قام عليها الدّليلُ للفقهاء في الغيبة الكبرى ، وهو ـ أي التوقيع ـ إخبارٌ منه عليه السلام بما سيقَعُ في المستقبل وهو من القرائن التي تَشْهَدُ بصحّةِ الرّواية ، وقد شَهِدْنا اليومَ هذه النّماذج ، فمَنْ ادّعاها في المدّة المبيّنة إنّما هو كذابٌ مُفتر كما قال الإمام المهدي عليه السلام . وهذا هو جوابنا على ذلك .

---

(1) بحار الأنوار / ٥٢/ ١٥١ .

الجواب الثالث : إنّما قال عليه السلام ذلك في ذلك الزمان لكثرةِ أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس ، حتّى أنَّ الشيعةَ يمنعُ بعضها بعضاً عن التحُّدث بذكره ، وفي هذا الزمان تطاوَلَت المدّة وأيس منه الأعداء[1].

وهذا الجوابُ نَقَلَهُ الشّيخ الفاضل المازندراني .

وان كان هذا الجواب فيه شائبة من الصحة إلا أن الروايات التي دلت على النهي بذكر اسمه من زمن الإمام أمير المؤمنين إلى زمن الإمام العسكري عليهما السلام كافية بالحفاظ عليه وعلى شيعته ، ويضاف أنه توجد روايات مقابل روايات النهي تصرح باسمه المبارك وتعين شخصه وزمن ولادته ، ونصب العداء له ولشيعته لم ينقطع بل ازداد اكثر كلما مر الزمان وانصرمت الأيام وخير دليل ما نشاهده اليوم من زماننا كيف تكالبت علينا الاعداء من كل حدب وصوب . فأي حفاظ له ولشيعته ترتجى من هذا التوجيه .

الجوابُ الرّابعُ : ما ذَكَرَهُ السيّد بحرُ العلوم رحمه الله في ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات المشهورة الصّادرة منه عليه السلام في حَقّهِ ما لَفْظُهُ : وقد يُشَكّلُ أمرَ هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى مع جهالةِ المبلّغ ودعواه المشاهدة المنافية بعد الغيبة الصّغرى ، ويمكن دَفْعُهُ باحتمالِ حُصولِ العلم بمقتَضَى القرائن ، واشتمالِ التّوقيع على الملاحم ، والإخبارِ عن الغيب الذي لا يَطّلِعُ عليه إلاّ الله وأولياؤه ، بإظهارِهِ لهُمْ ، وأنَّ المشاهَدَةَ المنفيّة أنْ يشاهد الإمام عليه السلام ويَعْلَمُ أنّه الحُجَّة عليه السلام حال مشاهَدَتِهِ له ، ولم يعلم من المبلّغ ادّعاؤه لذلك .

---

(1) الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب / ٢/ ٨٥ .

وقال رحمه الله في فوائده ـ في مسألة الإجماع بعد اشتراط دخولِ كُلِّ مَنْ لا يعرفه ـ : وربّما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول الإمام عليه السلام بعينِهِ على وَجْهٍ لا يُنافي الرؤية في مدّة الغيبة ، فلا يسعه التّصريحُ بنسبة القول إليه عليه السلام فيبرزه في صُورَةِ الإجماع جمعاً بين الأمر بإظهار الحقّ النهي عن إذاعَةِ مثلِهِ بقولٍ مطلق[1].

قال المحدّث النّوري رحمه الله : ويمكن أنْ يكونَ نظره في هذا الكلامِ إلى الوجه الآتي[2].

الجوابُ الخامس : ما ذَكَرَهُ رحمه الله فيه أيضاً بقوله : وقد يمنع أيضاً امتناعه في شأنِ الخواصّ وإنّ اقتضاءَ ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار ودلالة بعض الآثار .

ويُعلِّقُ المحدّثُ على كلامِهِ هذا بقولِهِ : ولعلّ مراده بالآثار ، الوقائع السّابقة والتي من جُمْلَتِها وقائعه ، أو الخبر الذي رواهُ الحُضيني في كتابه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : يظهرَ صاحبُ الأمر وليس في عنقِهِ بيعةٌ لأحد ولا عَهْدَ ولا عَقْدَ ولا ذِمَّةَ ، يغيبُ عن الخلق إلى وقت ظهوره .

قال الرّاوي : يا أمير المؤمنين ! لا يرى قبل ظهوره ؟

قال : بل يرى وقت مولده ، وتظهرُ براهينُ ودلائلُ ، وتراهُ عيون العارفين بفضلِهِ الشّاكرين الكاملين ، ويُبَشّرُ به من يَشُكُّ فيه .

---

(1) رجال بحر العلوم / ٣ / ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

(2) جنة المأوى / ٣٣٠ .

أو أنَّ المقصودَ مثل الخبر الذّي رواهُ الشيخ الكليني ، والنُّعماني ، والشيخُ الطّوسي ، بأسانيدِ معتبرة عن الإمامِ الصّادق عليه السلام أنّه قال : لابُدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبةٍ ، ولابُدَّ له في غيبةٍ من عُزْلَةٍ ، وما بثلاثين من وَحْشَةٍ[1]. يعني : يستأنس عليه السلام في غيبَتِهِ بثلاثينَ نفر من أوليائه وشيعَتِهِ ، فلا يستوحِشُ من الخَلْقِ في عزلته ، كما فَهِمَهُ شارحوا الأحاديثُ من هذه العبارة .

وقال بعضهُم : أنَّه عليه السلام في سَنّ الثلاثين سنة دائماً ، وصاحب هذا السنّ لا يستوحِشُ أبداً[2].

وهذا المعنى بعيدٌ للغاية[3].

ويحتَمَلُ أنْ يكونَ المرادُ أنَّه عليه السلام على هيئةِ مَنْ سنه ثلاثونَ سنةً أبداً وما هذا السنّ من وحشة .

ثمّ قال رحمه الله : والظاهرُ أنَّ هؤلاء الثلاثين نَفَر هُمُ الذين يستأنسُ بهم الإمام عليه السلام أيّام غيبَتِهِ ولابُدّ أن يبدلوا في القرون والأعصار ، فإنّه لم يثبت لهم من العمر ما ثَبَتَ لسيّدِهِم ، فلابُدَّ أنْ يُوجَدَ في كُلِّ عَصْرٍ ثلاثون نَفَرٍ من الخواصّ الذي يَفوزونَ بشَرَفِ الحضور .

وبروايةِ الطّبري أنه عندما التقى بذلك الفتى هو أحدُ خواصّهِ بل أحدُ أقربائهِ المختصّين به قال له ذلك الفتى : ما الذي تُريدُ يا أبا الحسن ؟

قال : الإمامُ المحجوبُ عن العالم .

---

(1) الكافي / ١/ ٣٤٠ رقم الحديث ١٦ ، غيبة النعماني / ١٨٨ ، غيبة الطوسي / ١٦٢ ، وفي بعض المصادر اختلاف يسير .

(2) شرح أصول الكافي الملا محمد صالح المازندراني / ٦/ ٢٤٤ .

(3) النجم الثاقب / ٢/ ٤٠٨ .

قال : ما هو محجوبٌ عنكم ، وَلكنْ حَجَبَهُ سُوءُ أعمالِكم ...[1]

وفي هذا الكلام إشارَةٌ إلى أنَّ مَنْ ليس له عَمَلُ سوءٍ وكان عَمَلُهُ وقولُهُ طاهراً ومطهراً من الأرجاسِ وما يُنافي سيرة أصحابه ، فليس هناك ما يحجبه عن لقائه عليه السلام .

وقال السيّدُ المرتضى في كتابهِ تنزيهُ الأنبياءِ في جوابِ مَنْ قال : فإذا كانَ الإمامُ عليه السلام غائباً بحيثُ لا يصلُ إليه أحدٍ من الخلق ، ولا يُنْتَفَعُ به ، فما الفَرْقُ بينَ وجودِهِ وعَدَمِهِ ..

قلنا : الجَوَابُ : أوّلُ ما نقولُهُ : أنَا غيرُ قاطِعَينِ على أنَّ الإمامَ لا يَصِلُ إليه أحدٌ ، ولا يَلْقَاه بِشَرٌ ، فهذا أمرٌ غيرُ مَعْلُومٍ ، ولا سبيلَ إلى القَطْعِ عليه ...

وقال أيضاً في جوابِ مَنْ قال : إذا كانَتْ العلّةُ في استتارِ الإمامِ خوفِهِ من الظّالمين واتقّائه من المعاندين فهذِهِ العلّةُ زائلةٌ في أوليائه وشيعَتِهِ فيجبُ أنْ يكونَ ظهراً لهم .

وقال بعد كلامٍ له : وقلنا أيضاً أنَّه غيرُ ممتنعٍ أنْ يكونَ الإمامُ عليه السلام يَظْهَرُ لبعضِ أوليائه ممّن لا يخَشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف ، فإنَّ هذا ممّا لا يمُكِن القَطْعُ على ارتفاعِهِ وامتناعِهِ ، وإنّما يَعْلَمُ كلُّ واحِدٍ من شيعته حال نفسه ، ولا سبيل له إلى العالم بحال غيره[2].

وهذا الجواب متين جداً .

---

(1) دلائل الإمامة ابن جرير الطبري ٢٩٦ ، وفي المطبوع ((ولكن جنّه سوء أعمالكم)) .

(2) تنزيه الأنبياء / ١٨٢ ـ ١٨٤ .

وقد صَرَّحَ العلماء الأعلامُ ومَهَرَةُ فنّ الأخبار بإمكانِ الرّؤيةِ في زَمَنِ الغيبة الكبرى[1].

الجوابُ السّادِسُ : إنَّ المخفيّ والمستورَ عن الأنام إنّما هو مكانُهُ و مستقرّه عليه السلام فلا طريقَ لأحدٍ إليه ولا يَصِلُ إليه بَشَرٌ ، ولا يَعْرِفُهُ أحدٌ حتّى خواصّه وأولادُه[2].

فلا ينافي لقائه ومشاهدته عليه السلام في الأماكن العامّةِ مع ظهورِهِ عليه السلام عند المضطرّ المستغيث به الملتجئ إليه الذي انقطت عنه الأسبابُ والواله في وادي الشبهات ، والحيران في مهالك الفلوات ، بأنَّ إجَابَةَ الملهوفِ وإغاثةَ المضطرّ إحدى مناصبه عليه السلام .

ويُؤيّدُ هذا الاحتمالَ الخَبرُ المرويّ في الكافي عن إسحاقِ بن عمّار أنّه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام للقائم غيبتان إحداهُما قصيرة ، والأخرى طويلة .

الغيبة الأولى لا يعلم بمكانِهِ فيها إلاّ خاصّةَ شيعَتِهِ ، والأخرى لا يعلم بمكانِهِ فيها إلاّ خاصّة مواليه[3].

وروى الشيخُ الطوسيّ والشيخُ النّعمانيُّ في كتابِ الغيبةِ بسنَدٍ معتبر عن المفضّل بن عمر أنّه قال : سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقولُ : إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتّى يقولُ بعضُهم مات ، ويقول بعضهم

---

(1) النجم الثاقب / ٢/ ٤٠٩ .

(2) نحنُ في صَدَدِ نَقلِ هذا الاحتمال وإلاّ لم يثبت أنه عليه السلام عنده أولاد وعائلة ، كما يتوهّمُ البعض فيُمْكِنُ حَملُ لفظِ الأولاد أو الزّوجات كما تشيرُ إليه بعضُ الرّوايات الغير مُعتبرة بالأصحاب أو مواليه أو الخواصّ أو خواصّ الخواصّ وغيرها وليس هنا محلّ التفصيل .

(3) الكافي / ١/ ٣٤٠ .

قتل ، ويقولُ بَعضُهُمُ ذَهَب ، حتّى لا يبقى على أمره من أصحابه إلاّ نَفَرٌ يسير ، لا يَطّلع على موضعه أحدٌ من ولده ، ولا غيره إلاّ ((المولى))الذي يلي أمره[1].

وروى الشيخُ النّعمانيُّ عن إسحاق بن عَمّار أنّه قال : سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : للقائم غيبتان إحداهما طويلة ، والأخرى قصيرة ، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة مواليه في دينه[2].

ولا يخفى إنَّ خبر إسحاق هذا هو نفسُ خبر إسحاق المرويّ في الكافي ، وفي بعض النسخ كما ذكرناه ، وفي بعضها يطابقُ نسخة الكافي ، وفي النّسختين جواب لأصلِ المقصود ، فعلى خبرِ الكافي ففيه دلالة على أنَّ خاصة مواليه يَعْلَمونَ بمستقرّهِ ومكانِهِ عليه السلام في الغَيبَةِ الكُبرى وهو يُؤيّدُ الجواب الخامس .

وعلى بعضِ نسخ النعماني فيكون المقصود منها إنَّ خاصّتَهُ في ذلك الوقت لا يعلمون بمحلّ إقامته عليه السلام فهي لا تنفي المشاهدة والرؤية في الأماكن الأخرى ، وليس في القصص دلالةٌ على ملاقاة أحدٍ له عليه السلام في ذلك المحلّ والله تعالى هو العالم[3].

---

(1) غيبة النعماني / ١٧١ ، غيبة الطوسي / ١٦٢ .

(2) غيبة النعماني / ١٧٠ .

(3) النجم الثاقب / ٢/ ٤١٦ .

الجوابَ السابع : وهو أنّ قوله عليه السلام ((ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانيّ والصّيحة فهو كاذب مفتر)) هي قضية مهملة غير مسوّرة من أدواتِ سور القضية ، فتكونُ بقوّة القضيّة الجزئية ، ونتيجَتُها بعضٌ وليس كلّ ، بمعنى أنَّ البعض كاذب وليس الجميع مما ادّعى المشاهدة في زمن الغيبة الكبرى . وهذا الجواب لنا أيضاً .

الجواب الثامن : هو من حيثُ الجنبةِ الفلسفية يقعُ تحتَ قانون الإمكان وتقريره : إنَّ الرؤيةَ واللقاء ممكن عقلاً ، ضرورة هذا الإمكان وشدّة بداهته إذ لا يمنعُ العقل ولا يحيله ، بل يمنع خلافه بضرورة إمكان الرؤية والمشاهدة لكل مخلوقٍ ذي جانبٍ مادي ، وكافّة الأجسام والطبيعيات ، وهو صلواتُ الله عليه مخلوقٌ روحانيٌ نورانيٌ في قالبٍ مادي جسماني .

الدليل الثاني : الاستدلالُ بالأخبار الدالّة على أنَّ الإمام عليه السلام يحضرُ مجالسهم ويطأ فرشهم ، ويَشْهَدُ الموسمَ ويَعْرفهم ولا يعرفونه ، على أنَّها دالة على نفي الرؤية مطلقاً كرواية الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : لو خَلَتُ الأرضُ ساعةً واحدة من حجّة الله لساخت بأهلها ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه ، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون[1].

وروايةُ سيّد الموحدين أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

إنّ حُجّتها عليها قائمة ماشية في طرقها ، داخلة في دورها وقصورها جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها ، تسمعُ الكلام ، وتسلّمُ على الجماعة

---

(1) الغيبة النعماني /١٣ .

تَرى ولا تُرى إلى الوقت والوعد ونداء المنادي من السّماء ، ألا ذلك يوم سرور ولد علي وشيعته .

وقد عَلّقَ النعمانيُّ رحمه الله على الرواية بعد أنْ نقلها قائلاً :

وفي هذا الحديث عجائبُ وشواهِدُ على حقيّة ما تعتقدُهُ الإماميّةُ وتدين به ، والحمد لله ، فمن ذلك قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه ((حتى إذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس)) أليس هذا موجباً لهذه الغيبة وشاهداً على صحة قول من يعترف بهذا ويدين بإمامة صاحبها ؟

ثمّ قوله عليه السلام ((وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته ... وأجمعوا على أنَّ الحُجَّةَ ذاهبة ، والإمامة باطلة)) أليس هذا موافقاً لما عليه كافة الناس الآن من تكذيب قول الإمامية في وجود صاحب الغيبة ؟ وهي محقّقة في وجوده ، وإنْ لم تَرَهُ ، وقوله عليه السلام ((ويحجُّ النّاسُ في تلك السنة للتجسّس)) وقد فعلوا ولم يروا له أثراً .

وقوله عليه السلام ((فعند ذلك سبّت شيعة علي سبّها أعداءها ، وظهرت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها)) يعني باحتجابها عليها في الظاهر ، وقولها : فأين إمامكم ؟ دلّونا عليه ، وبهم لهم ، ونسبتهم إياهم إلى النقص والعجز والجهل ، لقولهم بالمفقود العين ، وإحالتهم على الغائب الشخص وهو السبّ ، وهذا القول من أمير المؤمنين عليه السلام في هذا شاهد لهم بالصدق ، وعلى مخاليفهم بالجهل والعناد للحق[1].

---

(1) نفس المصدر / ١٤٤ .

وقول الصادق عليه السلام : فما تنكر هذه الأمّة أنْ يكونَ اللهُ يَفْعَلُ ما فعل بيوسف ، وأنْ يكونَ صاحِبُكُمُ المظلوم المحجوب حقّه صاحب هذا الأمر ، يتردَّدَ بينَهُم ويمشي في أسواقِهِم ويطأُ فُرُشَهُم ولا يَعْرِفُهُم حتّى يأذَنَ اللهُ له أنْ يُعَرّفهم ، نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾[1].

وما رُوي عن مولانا الرّضا صلواتُ الله عليه في معرض ردّهِ على السؤال عن القائم عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ حيثُ أجاب عليه السلام : لا يرى جسمه ، ولا يسمى باسمه[2]. وهكذا ما روي عن مولانا الإمام العسكري عليه السلام : إنكم لا ترون شخصه ، ولا يحل لكم ذكره باسمه[3].

والجواب على ذلك :

أولاً : أن كُلَّ ما يُستَفَادُ من تلك الرّوايات أنَّ الأرض لا تَبْقَى من غيرِ حُجّةِ اللهِ ولا تستقرُّ بدونِهِ ، وهي بَعيدةٌ عمَّا نحنُ بصدده .

ثانياً : توضّح جملة من تلك الروايات إنَّ الإمامَ صلوات الله عليه يعيش بيننا ويشاركنا همومنا ويتنقل بين ظهرانينا وفي أسواقنا وطرقنا ، بل يدخل بيوتنا فلا نعرفه ، وهو يعرفنا كيوسف عليه السلام وإخوته .

ثالثاً : أن الناس لا يرونه حتّى يسمعوا النداء السّماوي والصيحة المخبرة عن ظهوره عليه السلام .

---

(1) سورة يوسف الآية / ٩٠ ، وانظر غيبة النعماني / ١٤٦ .

(2) كمال الدين / ٣٧٠ .

(3) الكافي / ١/ ٣٣٢ .

رابعاً : لا يذكر اسمه صلوات الله عليه ، وقد ذكرنا بأنَّ ذلك يكون في زمن الغيبة الصّغرى ، وهذا كما ترى لا يصلَحُ الاستدلال بهذه الروايات لإثبات الدعوى .

الدليل الثالث : استدلَّ النافون بروايات الحجّ ، كقول مولانا الصادق عليه السلام : للقائم غيبتان : يشهد في إحداهما المواسم ، يرى الناس ولا يرونه[1].

واستدلّوا أيضاً بقولِ مولانا الصّادق : يَفْقِدُ الناسُ إمامهم ، فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه[2]. وقد نقله النعماني بسندٍ آخر عن أبي عليّ محمد همام عن الكليني[3].

والجواب عن ذلك :

أمّا الرواية الأولى فيجاب عنها : بأنّ المراد من هذه الغيبة هي الكبرى والمراد من الرؤية في هذا الحديث هي الرؤية مع المعرفة ـ أي المشاهدة ـ أي يرونه ولا يعرفونه خلافاً للغيبة الصغرى ، حيث كان يعرفه السّفراء وبعض خواص مواليه وخدمه ممن يتشرفون بلقياه .

ويحتمل أنَّ المرادَ من هذه الغيبة هي الغيبةُ الصّغرى ، والمعنى ((يرى الناس)) أي يراه الناس ، وهم الخواصّ والموالي ، ولا يراهُ عمومُ النّاس أي لا يرونَهُ رؤيةً عن معرفَةٍ فلا يُشَاهِدُهُ إلاّ خاصَّةُ مواليه وأصحابه[4].

---

(1) الكافي / ١/ ٣٣٩ ، وغيبة النعماني / ١٧٦ .

(2) الكافي /١/٣٣٧ ، غيبة الشيخ الطوسي / ٢٥١ ، كمال الدين / ٤٤٠ ، الوافي / ٢/ ٤١٣ .

(3) غيبة النعماني / ١٧٥ .

(4) مرآة العقول العلامة المجلسي / ٤/ ٤٧ .

وأمّا الرواية الثانية ، فقد حمَل العلاّمة المجلسي رحمه الله هنا على الرؤية مع المعرفة مستدلاً بما رواه الحميري عن محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وهو : والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنةٍ فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه[1]. وعن زُراة قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ للقائم غيبتين يَرْجِعُ في إحداهما ، والأخرى لا يرى أين هو ، يشهد المواسم ، يرى الناس ولا يرونه . وبعد سرده للرواية علّق عليها قائلاً :

بيان : لعلّ المراد برجوعِهِ ، رجوعُهُ إلى خواصّ مواليه وسفرائه ، أو وصولِ خبره إلى الخلق[2].

فقد يُوفق الكثير من الناس في الغيبة الكبرى لرؤيتهِ في موسم الحجّ ، لكنّهم يرونَهُ ولا يعرفونه ، وأمّا في الغيبة الصّغرى فإنَّ مَنْ كانَ يعرفه من الأخيار كان يراهُ مع الحجيج ويعرفه كما حَصَلَ لسفيرهِ محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه الذي قال مجيباً عن سؤال الحميري : فقلتُ له : أرأيت صاحبَ هذا الأمر ؟ فقال : نعم آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : ((اللهم أنجز لي ما وعدتني))

وقوله رضي الله عنه : رأيتُهُ صلوات الله عليه متعلقاً بأستارِ الكعبة في المستجار وهو يقول : اللّهم انتقم لي من أعدائي[3].

---

(1) كمال الدين / ٤٤٠ ، من لا يحضره الفقيه / ٢/ ٥٢٠ .

(2) بحار الأنوار / ٥٢ / ١٥٦ .

(3) كمال الدين / ٤٤٠ .

ويعودُ السَّبَبُ في ذلك إلى أنَّ أحَدَاً من النّاس لا يَعْرِفُهُ في زمن الغيبة الكبرى بخلافِ الصّغرى التي كان بعض الأخيار قد ارتبط به وعرفه : إمّا منذ صباه في دار أبيه الإمام العسكري عليه السلام ، أو بنيل شرف لقائه في عصر السفراء .

الدليل الرابع : تمسّك بعضهم لنفي إمكان الرؤية والمشاهدة بما جاء في رواياتٍ عديدةٍ بلغت حَدَّ التواتر عن أئمّة الهدى صلوات الله عليهم أنّ لطول غيبته حكمةُ تمحيص شيعَتِهِ ليخرج الخبيثُ منهم ويميز الخبيث من الطيب حتّى يخرج دعاةُ التشيّع ويتميّزوا عن الشّيعة الصّادقين بالقول والفعل ، فيرتدّ كثير منهم ولا يبقى إلاّ العسل الخالص المصفى ، قالوا : لو أمكنت المشاهدة لما بقي معنىً لإنكارهم إياه عليه السلام وارتدادهم عن الحقّ وسقوطهم في هاوية الاختيار ، إذ يمكِنُهُم مشاهدته ، أو التّصديقُ بوجوده المقدس من خلال إخبارِ من شَاهَدَهُ من الصالحين ، فلا يبقى مجالٌ للغربَلَةِ والتمّحيص وقد أُمروا أنْ يؤمنوا بالغيبِ أي بكُلِّ آياتِ اللهِ وحُجَجَهِ الغائبة عن الأنظار والمحجوبة عن الأبصار ، ولهذا علّلَ الشيخُ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه : اختبار الناس بطول الغيبة ليميز المؤمنين المخلصين الصادقين[1].

ومن جملة تلك الروايات الدالة على هذا المعنى :

ما روي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه : للقائم منا غيبة أَمَدُها طويلٌ كأنّي بالشيّعَةِ يجولونَ النّعم في غيبته ، يطلبون المرعى فلا يجدونه

---

(1) جنة المأوى / ٢٦٦ .

ألا فَمَنْ يُثْبُتُ منهم على دينه لم يقسُ قلبه لطولِ أمَدِ غيبةِ إمامه ، فهو في دَرَجَتي يوم القيامة[1].

وعنه صلوات الله عليه أيضاً : ولكن بَعْدَ غيبةٍ وحيرة فلا يثبت فيها على دينه إلاّ المخلصون المباشرون لرّوح اليقين[2].

وما رُوي عنه صلوات الله عليه : حتّى إذا غابَ المتغيّبُ من ولدي عن عيون الناس وحاج الناس بفقدِهِ أو قَتْلِهِ أو بموتِهِ اطّلعت الفتنة ونَزَلَت البلية والتحَمَتْ العصبيّة ، وغلا الناسُ في دينهم ، وأجمعوا أنَّ الحُجَّةَ ذاهبة ، والإمامة باطلة ويحج الناس في تلك السنة من شيعة علي ونواصبه للتجسس والتحسس عن خَلَفِ الخَلَف ، فلا يعرف له خبر ولا خَلَفٌ[3].

ولهذا أفردَ النعمانيُّ فصلاً من كتابهِ الغَيَبةَ للبَحْثِ عن امتناعِ المشاهدة في عصر الغيبة الكُبرى مُصَرّحاً بذلك وبعَدَم جواز السّعي إلى المشاهدة أيضاً وعذّرهم عن حجبهم وامتناع الرؤية والمشاهدة عليهم قائلاً : ومحضور عليهم الفحص عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الاشارة بذكره فضلاً عن المطالبة بمعاينته[4].

سيّما إذا علمنا أنَّ مثل هذا الكلام خَرَجَ ممّن قَطَعَ الفيافي والبراري وانتقلَ من بلدٍ إلى بَلَدٍ ليصنّف كتابه هذا بعد جهد جهيد وعناء شديد ، فهو رحل إلى شيراز وبغداد وطبرية والأردن ودمشق وحلب كلُّ ذلك سعياً وراء

---

(1) كمال الدين /٣٠٣ .

(2) كمال الدين /٣٠٤ .

(3) غيبة النعماني /١٤٣ .

(4) غيبة النعماني / ١٦٠ .

التفحّص والتحقيق[1]. لكن عَنَّاهُ البَحْثُ وكثرة السفر والتنقل من بلد لبلد لا يعني يقطع كالمصنف بعدم الرؤية .

والجواب عليه :

ويمكنُ الجوابُ على ذلك بأنَّ هذا الارتداد قد وَقَعَ بعد وفاةِ الإمام العسكريّ عليه السلام كما بحثنا ذلك فيما سبق ، وليس له دخلٌ بالمشاهدة وعدمها فموضوعُ الروايات غريبٌ ممّا نحنُ بصَدَدِ البَحْثِ عنه ، هذا أولاً ، وثانياً لو فرضنا صحّةَ دعوى أنَّ التمحيص مانعاً للمشاهَدَةِ فلا يرتَفِعُ بمجرّد مشاهدة فردٍ أو فرين حتّى لو وَصَلَ العددُ إلى المائة ، فإنَّه يرتفعُ بمجرّدِ أنْ أصبحت المشاهدة حالةً مؤلّفة وكثيرة ، إضافةً إلى ذلك أنَّ روايات التمحيص ناظرة مطلقِ الغربلة والاختبار وليس هناكَ دليلٌ أو قرينةٌ تدلُّ على وقوع التمحيص في زَمَن الغيبة الكبرى دون سواها .

---

(1) خاتم الأوصياء الحلقة الثانية /٤٥٠ .

ذكرُ مَنْ قال إمكان الرؤية والمشاهدة

في قبال ذلك ذَهَبَ جمعٌ غفيرٌ من الأعلام ـ لا سيّما المتأخرين منهم ـ إلى إمكان المشاهدة ، وأوّلُ من اختار هذا الرأي هو السيّدُ المرتضى علم الهدى رحمه الله في كتابه تنزيه الأنبياء ، ورسالة في الغيبة ، والشافي ، والمقنع ، فإنّه قال في معرض الرّد على مَنْ سأل عن فائدةِ إمامٍ غائبٍ عن الأنظار لا ينتفع به ؟

الجواب : قلنا أوّلَ ما نقر له إنّا غيرُ قاطعين على أنَّ الإمام عليه السلام لا يصلُ إليه أحدٌ ولا يلقاهُ بَشَرٌ ، فهذا أمرٌ غيرُ معلومٍ ، ولا سبيلَ إلى القطع عليه[1].

وقال في موضعٍ آخر : نحنُ نجوّزُ أنْ يَصِلَ إليهِ كثيرٌ من أوليائه والقائلين بإمامته فينتفعون به[2].

وقال أيضاً : لسنا نقطعُ على أنَّ الإمامَ لا يظهر لبعض أوليائه وشيعته بل يجوزُ ذلك ، ويجوزُ أيضاً أنْ لا يكون ظاهراً لأحدٍ منهم ، وليس يُعْرَفُ كُلُّ واحدٍ منّا إلا حال نفسه ، فإمّا حال غيره فغيرُ مَعْلومٍ له ، ولأجلِ تجوّزنا أنْ لا يظهر لبعضهم أو لجميعهم ما ذكرنا العلّة المانعة من الظهور... ومع هذا فما نمنعُ من ظهورِهِ عليه السلام لبعضهم إمّا لتقويمٍ أو تأديبٍ أو وَعْظٍ وتنبيهٍ وتعليمٍ غير أنَّ ذلك كلّه واجبٌ ، فيطلب في فوتِهِ العللُ ، وتُتَمَحَّلُ له الأسباب وإنّما

---

(1) تنزيه الأنبياء / ١٨٢ .

(2) رسائل الشريف المرتضى / ٢/ ٢٩٧ .

يَصْعُبُ الكلامَ ويُشْبته إذا كان ظهوره للوليّ واجباً من حيثُ لا ينتفع أو يرتدعُ إلاّ مع الظهور ، وإذا كانَ الأمرُ خلاف ذلك سَقَطَ وجوب الظهور للوليّ ، لما دللنا عليه من حصولِ الانتفاع والارتداعِ من دونه ، فلم تبق شبهة[1].

وقال أيضاً في موضع آخر : أنّه غيرُ ممتنع أنْ يكون الإمامُ يظهرُ لبعض أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف ، وإنَّ هذا ممّا لا يمكن القطعُ على ارتفاعه وامتناعه ، وإنّما يعلم كُلُّ واحدٍ من شيعَتِهِ حال نفسه ، ولا سبيل إلى العلم بحالِ غيره[2].

ثمَّ اشتهرَ بين الأعلام من المحقّقين كالشيخ الطوسي والمحقّق الكراجكي والمحدث النّوري وغيرهم طيّب الله ثراهُم وأعلى درجاتهم ، فالطبرسي رحمه الله أورد في أعلام الورى دعوى السيد المرتضى[3].

وهكذا الإربليّ في كشف الغّمة[4] واستعانَ سائرُ معاصريهِ بنقلِ قوله رحمه الله في الردّ على نفس الشُّبهة كما صَنَعَ الكراجكي فإنه قال : ولسنا مع ذلكَ نَقْطَعُ على أنَّ الإمامَ لا يعرفُهُ أحدٌ ، ولا يصلُ إليه ، بل قد يجوزُ أن يجتمع به طائفة من أوليائه تستر اجتماعها به وتخفيه[5].

---

(1) المقنع في الغيبة / ٧٧ ـ ٧٨ .

(2) المقنع / ٣٢٣ .

(3) اعلام الورى / ٤٤٠ .

(4) كشف الغمة / ٣/ ٣٢٨ .

(5) كنز الفوائد الكراجكي / ٢/ ٢١٨ .

ومنهم العلاّمة سديدُ الدين الحمصي في المنقذ من التقليد[1]، وشيخُ الطّائفة الطوسيّ في كتاب تلخيص الشافي ، وكتاب الغيبة ، فإنّه قال : إنّا أولاً : لا نقطعُ على استتاره عن جميعِ أوليائه ، بل يجوزُ أنْ يظهرَ لأكثرهم ، ولا يَعْلَمُ كُلُّ إنسانٍ إلاّ حالَ نفسه ، فإنْ كان ظاهراً له فعلّته مزاحة وإنْ لم يكن ظاهراً له علم أنه إنما لم يظهر لهُ لأمرٍ يرجعُ إليه ، وإنْ يعلمه مفصلاً من جهته[2].

ظَهَرَ ممّا تَقَدَّم أنَّ احتمالَ المشاهدَةِ وإمكان الرّؤية كانت مسألةً محسومة لَدَىَ جميع من أعلام الطائفة المتقدمين حتّى صارت قضيّةً يقينية مسلّماً بها منذ السيّد علم الهدى حتّى أَصْبَحَتْ من المشهورات في عهدِ السيّد ابن طاووس رحمه الله المتوفى سنة ٦٦٤ هـ بعد ما نقلت عنه لقاءاته الشّهيرة بالإمام عليه السلام وإنْ سبقتها حكاياتُ ابن قولويه رحمه الله ٣٣٩ هـ كما نقلها القطب الراوندي المتوفى ٥٧٣ هـ[3] ، وهي قصّة الحجر الأسود الذي رَدَّهُ القرامطة بعد أنْ سرقوه وأعادَهُ الإمام إلى موضعه .

ونَفْهَمُ من كلامِ هؤلاءِ الأعلام طيَّبَ اللهُ ثراهم في معرض الردّ على شبهةِ المعاند كونَ الانتفاع بوجودِ الإمام عليه السلام لا تتحَقَّقُ إلاّ بالرؤية والمشاهَدَةِ لذا كانَ جوابهم مرتكزٌ على نقطتين مهمتين :

---

(1) المنقذ من التقليد / ٢/ ٣٧٨ .

(2) تلخيص الشافي /٤/ ٢٢١مابعدها ، الغيبة / ٩٩ .

(3) الخرائج والجرائح / ١/ ٤٧٥ .

الأولى : كون الرؤية والمشاهدة متحققة في زمن الغيبة الكبرى ، ولكن لا يعلم من هم ، وليس من سبيل للقطع بعدم إمكان ذلك .

والثانية : أنَّه بمجرّد ثبوتِ وجودِ الإمام عليه السلام تتحقق الغاية ، وامتناع اللقاء به لا ينفي سائر وجوه الانتفاع به والحاجة إليه ، وهي كثيرة وضرورية للغاية ، فسواء أمكنت الرؤية والمشاهدة أو امتنعتا بقيت الحاجة إليه ولو بقاعدة اللطف .

أما النقطةُ الأولى فقد ركّز عليها علم الهدى رحمه الله وقدَّمَ إجاباتٍ ثلاث مرّ ذكرها ، وقال أيضاً : لأنّهم مع علمهم بوجوده بينهم ، وقطعهم على وجوب طاعته عليهم ولزومها لهم لابُدّ من أنْ يخافوه ويهابوه في ارتكاب القبائح ويخشوا تأديبه ومؤاخذته فيقلّ منهم فعل القبيح ويكثر فعل الحسن ، أو يكون ذلك أقرب ، وهذه جهة الحاجة العقلية إليه[1].

كما أنَّ الطبرسي في أعلامِ الورى قدّمَ أربعِ إجاباتٍ عن تلك الشبهة[2] وركَّزَ على ما ركَّز عليه علم الهدى .

أما النقطة الثانية فقد ركّزَ عليها الشيخ المفيد رحمه الله بقوله : الدليل على ذلك أنَّ كُلَّ زمانٍ لابُدّ فيه من إمامٍ معصوم ، وإلاّ لخلا الزمانُ من إمام معصومٍ مع أنَّه لَطْفٌ ، واللّطفُ واجبٌ على الله تعالى في كل زمان[3].

---

(1) رسائل الشريف المرتضى / ٢/ ٢٩٩ .

(2) اعلام الورى / ٤٤٠ .

(3) مجموعة مؤلفات الشيخ المفيد ، النكت الاعتقادية / ٤٤ .

كما ذكرنا بأنَّ الشيخَ المفيدَ لا يتمَسَّكُ باحتمالِ المشاهدة في معرض رَدِّهِ على شبهةِ الانتفاع ، وإنّما جَعَلَ نَفْسَ مَعْرِفَةِ الإمام وانتظار فَرَجِهِ الشريف من فوائد وجوده خلف حجاب الغيب .

- وقال الخواجَة الطوسي في التجريد : انحصارُ اللّطف فيه معلومٌ للعقلاء ووجودُهُ لطفٌ وتصرّفُهُ لطفٌ آخرٌ وعدمه منّا[1].

كما ذكر آخرون : أنَّ للإمام عليه السلام تأثيراً معنوياً على بواطن ونفوس المؤمنين وأرواحهم ، وإنْ غاب عن أبصارهم الظاهرة ، وهو حَقٌّ أيضاً لا شكَّ فيه كما كانَ لموسى عليه السلام تأثيراً معنوياً قبل خروجِهِ تأثيرٌ معنويٌ على نفوسِ بني إسرائيل تحتَ وَطْأةِ فرعون والأقباط ، وهكذا لسائر الأنبياء على أقوامهم عند غيابهم عنهم[2].

---

(1) تجريد الاعتقاد / ٢٢٢ .

(2) الشيعة في الإسلام العلامة الطباطبائي / ١٥٢ .

أدلة القائلين بإمكان الرؤية والمشاهدة

للمثبتينَ أدلّةٌ وبراهينُ وشواهدُ على إمكانِ الرؤية والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى وهي على أصناف اربعة :

الأول : الروايات الدالة على المشاهدة .

الثاني : التوقيعُ الشريفُ الصّادرَ من الناحية المقدسة .

الثالث : الإجماع .

الرابع : القصص والحكايات والشواهد الصادقة .

الدليل الأول : وردت رواياتٌ كثيرةٌ فيها إشارَةٌ واضحة ، والبعضُ منها فيه تلويحٌ يستفادُ منه بإمكان الرؤية والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى .

منها ـ كما في الكافي ـ عن مولانا الصّادق عليه السلام : لابدّ لصاحبِ هذا الأمر من غيبة ولابدّ له في غيبته من عزلة ، ونعم المنزل طيّبة ، وما بثلاثين من وحشة[1].

ووجهُ الاستدلالِ بهذه الرّواية ـ بغضّ النّظر عن صحّة سندها حيث عَلَّقَ البَعْضُ منهم بأنّها ضَعِيفَةُ بعليّ بن أبي حمزة البطائني زعيم الواقفة ولكن يمكن قبولها من سندٍ أخر صحيح ، كما رواه النعماني في الغيبة .

هذا ويحتملُ جداً أنّه روى عليّ بن أبي حمزة قبل انحرافه كما تساعد على ذلك بعض القرائن ليس هنا محل اثباتها .

---

(1) الكافي / ١/ ٣٤٠ .

وعلى كُلٍّ حالٍ فوجهُ الاستدلال حيثُ حملوا معنى الوَحشَة على زمن الغيبة الكبرى ، فلا معنى حينئذٍ لحملها على زمن الغيبة الصّغرى[1] فإنّها لا تتحقّقُ الوحشة فيها ، فإنَّه كان يستأنس بالسّفراءِ وبخاصة الأولياء .

ويعلّق العلامة المجلسي قائلاً : وظاهر الخبر كما صرَّح الأحاديث أنه عليه السلام يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيبته ، وقيل : إنَّ المراد أنّه على هيئة مَنْ سِنُّهُ ثلاثون أبداً ، وما في هذا السنّ وحشة ، وهذا المعنى غريب ، بمكان من البعد والغرابة ، هؤلاء الثلاثون الذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لابدّ أنْ يتبادلوا في كلّ قرنٍ ، إذ لم يقدّر لهم من العمر ما قدّر لسيدّهم ففي كلّ عصرٍ يُوجَدَ ثلاثونَ مؤمناً وليّاً يتشرّفون بلقائه[2]. واختار العلامة في مرآة العقول المعنى الأول أعني ((لابد له في غيبته من عزلة))[3].

الرواية الثانية : واستدلّ القائلون أيضاً بموثّقة عمّار عن مولانا الصادق عليه السلام : للقائم غيبتان : إحدهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة مواليه[4]. ورواها النعمانيُّ عن ابن عُقْدَة والكليني باختلاف يسير في السند[5] وقوله عليه السلام ((إلاّ خاصة مواليه)) أي خدمه وأهله وأولاده أو الثلاثين الذين مضى ذكرهم ، وفي الغيبة الصّغرى كان بعضُ خواصّ شيعته مطّلعين

---

(1) الوافي / ٢/ ٤١٣ ، وقد ذكرنا عبارته هناك .

(2) بحار الأنوار / ٢٥ / ٣٢٠ ، وقد ذكرنا ذلك .

(3) مرآة العقول / ٤/ ٥٠ .

(4) الكافي / ١/ ٣٤٠ .

(5) غيبة النعماني / ١٧٠ .

على مكانه كالسُّفراء وبعض الوكلاء[1]. وقال المازندراني رحمه الله ((المراد من خاصّة مواليه حواريّوه عليه السلام))[2].

الرواية الثالثة : الدالّة على إمكان الرّؤيا والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى كما في الغيبة عن المفضّل بن عمرو عن مولانا الصّادق عليه السلام : إن لصاحِبِ هذا الأمر غيبتين إلى قوله عليه السلام : لا يطّلعُ على أحدٍ من وليٍّ ولا غيره إلاّ المولى الذي يلي أمره[3].

هذا وقد يُوجَدُ في بعض كُتُبِ الحديث لفظ : ((من ولده ولا غير)) بدل ((من وليّ ولا غير))[4] عن غيبة الشيخ الطوسي رحمه الله ، حيث نرى أنّ الشيخ رواه بلفظين تارة بلفظ ((من ولده))[5] كما في البحار ، وتارة أخرى خالياً من عبارتي ((من ولده)) و ((من وليّ)) كلتيهما مكتفياً بلفظ ((من غيره))[6]، وقد وافق المتّقى الهندي ما جاء في غيبة النعماني راوياً إياه عن الإمام الحسين عليه السلام[7].

---

(1) مرآة العقول / ٤/ ٥٢ .

(2) شرح الكافي / ٦/ ٢٤٥ .

(3) غيبة النعماني / ١٧١ .

(4) بحار الأنوار / ٥٢ / ١٥٣ .

(5) غيبة الطوسي / ١٦٢ .

(6) غيبة الطوسي / ١٦١ .

(7) منتخب الأثر ٢٥٣ .

وكل هذا التغاير لا يضرُّ بوجهِ الاستدلال بالرواية فإنَّ المؤدى واحد وهو كونَ الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى يوجَدُ ممّن يرعاه ويراه ويشاهده سواء أكان وليّ أو غيره .

الدّليل الثاني : وهو التوقيعُ الصّادر من النّاحية المقدّسة ، وقد مرَّ ذكره واستفاد منه ممّن يقول بإمكانِ الرؤية والمشاهدة ، ولذلك لأمرين : أي الثاني وهما الصنعة المنطقية والجنبة الفلسفية كما ذكرنا سابقاً .

ولو لم يكن دليل على إمكان الرؤية والمشاهدة غيرهما لكفى ذلك ولا يمكن دفهما .

الدليلُ الثالث : الإجماع ، ومعناه : أنْ يسمع بعضُ العلماء كلاماً أو حكماً فقهياً من الإمام الحجّة أرواحنا فداه مباشرةً لا بالواسطة ، معتبرة غاية الاعتبار ، فينقله في قالب دعوى الاجماع خشيةَ تكذيبه وردّه إليه ، يقول التستري رحمه الله في كشف القناع في إثبات الاجماع وأقسامه ما حاصله :

أنَّ جماعة من حملة أسرارِ أهل البيت عليهم السلام يقطعون بكلامِ الإمام الغائب يعلمون به بواسطة نقل أحد السفراء أو مواليه عليهم السلام لهم في السرّ بحيث يحصل من نقله القطع واليقين بصحّة نسبته إليه عليه السلام أو أنْ يبلغه ذلك بتوقيع ومراسلة من جهة الإمام عليه السلام أو أنْ يسمع كلامه مباشرة من غير واسطة في البين ، بحيث لا ينافي امتناع الرؤية في زمن الغيبة الكبرى .

ولما كان مثل هذه الجماعة لا يجرأون على التصريح بذلك وإيصال قول الإمام عليه السلام إلى شخصه لمحذور امتناع ادّعاء المشاهدة ، بل المشاهدة ذاتها كما حققناه هنا ، وليس له دليل من الكتاب والسنة أو العقل عليه إلى أن يقول

مضافاً إلى عدم تكليفه الكتمان ، فهو حينئذٍ لا يجد بُدّاً من ادّعاء الاجماع عليه للافصاح عنه والإدلاء به ، ولعلّ هذا الأصل هو المسوّغ الشرعي الذي تستندُ إليه الكثير من الزيارات والآداب والأعمال التي اشتهرت بين الإمامية ممّا لا سَنَدَ ظاهرَ لها من الأخبار وكتب السلف والماضين[1].

وهذا الإجماع يسمّى تارة بالإجماع الدّخولي ، وأخرى يسمّى الإجماع اللطفي ، وقد وقع بين الأعلام خلاف حول حجيته ، فمَنْ قال به أجاز الرؤية والمشاهدة في هذا العصر اعتماداً عليه ، ومن أرادَ المزيد والتفّصيل فعليه بكتب الأصول[2].

الدليل الرابع : القصص والحكايات والشواهد الصادقة ، فقد ورد في كثيرٍ من الكتب والمؤلّفات قصصٌ وحكاياتٌ جمَّة تدلُّ على إمكانِ المشاهدة ووقوعها صراحَةً ممّن ادّعوا الرؤية والمشاهَدَة وعمّن نسبت إليهم بعض تلك الحكايات ، وحكايات تدل على إمكان الرؤية والمشاهدة ضمناً لا صراحة وأوّلُ هذه الحكايات ـ بحسب الظاهر ـ هي حكايةُ نَصْبِ الحَجَرِ الأسودِ عام ٣٣٩ هـ المتعلّقة والمنسوبة إلى ابن قولويه المتوفى ٣٦٩ هـ ، والذي نَقَلَها القُطُبُ الرّاوندي المتوفي ٥٧٣ هـ في كتابه الخرائج والجرائح[3].

---

(١) كشف القناع عن وجوه حجية الاجماع / ٢٣٠ حجري .

(٢) الذريعة ، علم الهدى ، فرائد الأصول الشيخ الاعظم الانصاري ، منتقى الاصول محمد الروحاني ، كفاية الاصول الاخوند ، درر الفوائد الشيخ عبد الكريم الحائري ، اصول الفقه محمد رضا المظفر ، مبحث الاجماع ، وقد فصلنا ذلك من حيث المنشأ التاريخي للاجماع في كتابنا المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية .

(٣) الخرائج والجرائح /١/ ٤٧٥ .

ثم جاء السيد ابن طاووس رحمه الله المتوفي ٦٤٤ هـ بذل اهتماماً مضاعفاً ليجمع ويروي جملة غفيرة من هذه القصص والحكايات[1].

وممّن عُنيَ بنقل تلك الحكايات المحدّثُ النّوري رحمه الله في كتابه النّجم الثاقب ورسالته جنة المأوى وذَكَرَ فيهما شواهدُ وقرائنُ لا تبقى معها ريبة ، ونجدُ أيضاً سعي العلامة المجلسي رحمه الله لجمع تلك الحكايات في كتابه بحار الأنوار ، وحاول الجمع بين هذه الحكايات والقصص ، وبين التوقيع الشريف من جهة أخرى بتأويل المشاهدة إلى خلاف ظاهر اللفظ ، كما سمعنا ذلك .

وازدادت هذه الحكاياتُ ورُواتُها ودُعَاتُها يوماً بعدَ يومٍ حتَّى غدا أمر الرؤية والمشاهدة ضرورياً مسلماً .

والحقُّ أنْ يقال : أنَّ تلك القصص والحكايات لا يمكن لها أن تكون دليلاً ومقيِّدةً لإطلاق التوقيع الذي ينفي الرؤية والمشاهدة مطلقاً ، كما فهمه بعضهم ولا حاجة لتأويل ظاهر لفظ التوقيع جمعاً بينه وبين تلك القصص والحكايات الدالّة صراحةً على وقوع المشاهدة ، ولعلَّ أوّلَ مَنْ تَفَطَّنَ لهذا التأويل هو العلاّمة المجلسي في كتابه بحار الأنوار ، فلو كانَ هذا التأويل معروفاً ومشهوراً عند أعلام الطائفة كالشيّخ والسيّد وغيرهما لنقل واشتهر من بعدهم ، ولا ننسى أن هؤلاء الأعلام الذين لم يدّخروا وسعاً في البحث عن المخارج لهذه المآزق كما اجتهدوا كثيراً في التصنيف والتأليف والرواية والتحقيق فيما يخصّ أمْرَ الحُجّة صاحب الأمر أرواحنا فداه .

---

(1) فرج المهموم / ٢٤٧ .

ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من الأعلام ممّنْ يقولُ بإمكان الرؤية والمشاهدة ـ فضلاً عمّن لم يقل بذلك ـ لم يسلّم بها بل رَفَضُوها وعدّوها من خيال القصاصين ، كالعلامة المحقق الشيخ الآغا بزرك الطهراني[1] والشهيد القاضي رحمه الله معلّقاً على مقولةِ المحدّث النوري وروايته للقصص والحكايات لاسيّما قصة الجزيرة الخضراء ما هذا نصه :

وأمّا حياةُ مولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه وإثباتها ، فلا احتياج لنا في إثباتها إلى هذه الحكايات والقصص وسردها في الكتب ، مع أنَّ الله تعالى على كلِّ شيء قدير ، ودلالةُ الآيات القرآنية والأخبار المتواترة بطرق السنة والشيعة ، وضرورةُ مذهبِ الإماميّة كافيةٌ في إثباتها مع إثبات العلم اليوم إمكان الخلود للإنسان في الدّنيا ألفاً من السنين ، وكذا لا احتياجَ إلى القول بأنّه عليه السلام يعيشُ في الإقليم الثامن أو في جابلقا أو جابلسا ، أو يعيش ببدنه المثاليّ البرزخي ، وأمثال هذه الأقاويل المنكَرَةِ المزخرفة المخالفةِ لضرورةِ مذهب الإمامية فإنها من الدعاوى التي لا دليل عليها أصلاً[2].

هذا وأنَّ المتأمل في حكاية الجزيرة الخضراء يرى أنَّ صاحب الحكاية المزعومة الذي يدّعي أنَّ نسبه ينتهي إلى الإمام صاحب العصر صلوات الله عليه بستّ وسائط يصرّح أنه لم ير الإمام ولم يشاهده مع ادّعاء جيرته ورغم ادّعائه النيابة الخاصّة ، خلافاً لنصّ التوقيع ولضرورة والمذهب وإجماع أهل الحل والعقد ، فكيف بمن يدّعي السّفارة والجيرة فضلاً عن القرابة للإمام

---

(1) طبقات أعلام الشيعة ـ القرن الثامن / ١٤٥ .

(2) تعليقة الشهيد القاضي على الأنوار النعمانية / ٢/ ٦٩ . نقلاً عن كتاب خاتم الأوصياء .

أروحنا له الفداء ولا يدّعي رؤيته ولقائه ، بينما يراه الآخرون ؟ ! أليس يبدو الأمر غريباً ؟ فلا داعي حينئذٍ أن يتمسك بهذه القصص والحكايات التي هي من خيال القصاصين ، لإثبات الرؤية والمشاهدة .

مقارنة بين القولين

إذا ما قارنّا بين القولين نجدُ فيهما ثغرات واضحة من حيث الضّعف السّندي تارةً والمتن أخرى ، وكذا نجِدُ القوَّةَ السّندية والمتن في كلا القولين وحال أدّلة النافين يَعْتَمِدُ على أمرٍ واحد وهو النفي الوارد في التوقيع تارة والنفي الوارد في الرّوايات مثل قوله : ((يعرف الناس ولا يعرفونه)) خصوصاً إذا أمعّنا النظر في أداةِ النفي الداخلة على الفعل المضارع وهي (لا) التي لا تؤكّدُ النفيَ المؤبَّدَ بخلافِ أداةِ (لن) فهي تؤكد مؤبداً ماضياً ومستقبلاً وحالياً لذا نرى الإمام عبّر ب(لا) ولم يقل : ((لن يعرفونه)) .

أمّا في أدلّة المثبتين فنجد النفيَ يأتي من بعدِهِ استثناء وهو مما يؤكّدُ انقطاعُ النفي مثل قوله : ((إلاّ خاصة مواليه)) على أنَّ ذلك يحتاجُ للقرائن التي تفيدُ الانقطاع وتؤكّدُ على أنَّ استمرارَ الكلامِ ليس مرادَ المتكلّم ، وهذا هو ملموسٌ في أدلّة المثبتين أكثر ما هو موجود في أدلّة النافين ، ويضافُ إلى ذلك أنَّ أدلّة المثبتين متنوعة من الإثبات اللفظي والعقليّ والمنطقيّ والنّحوي أمّا ما نجده من الطرف الآخر ليس له إلاّ نوعاً واحداً من الاستدلال هو الدليل اللفظي ، وكذا نرى الرواية ضعيفةَ السند ، وأخرى قوية السند ، ولكنها قابلة للمناقشة من حيثُ المتن كما ذكرنا ذلك ، لذا نجدُ أنَّ أدلّة المثبتين أمتن وأقوى من الطرف الآخر .

توضيحُ رأي المحدّث النوري

يُذْكَرُ أنَّ أولَ مَنْ أشكل على التوقيع وطَعَنَ فيه دلالةً وسنداً هو المحدّث النوري خاتمة المحدثين رحمه الله ، وتبعه في ذلك جمعٌ غفيرٌ ممن عاصروه أو تخلفوا وتأخروا عنه ، قال رحمه الله في كتابه جنة المأوى : أنّه خبرُ واحدٍ مرسل غير موجبٍ علماً ، فلا يُعارِضُ تلك الوقائع والقصص التي يحصل القطع عن مجموعها ، بل ومن بعضها المتضمّن لكرامات ومفاخر لا يمكن صدورها من غيره عليه السلام فكيف يجوز الإعراض عنها لوجود خبرٍ ضعيف لم يعمل به ناقله وهو الشّيخُ في الكتاب المذكور ... فكيفَ بغيره ، والعلماء الأعلام تلقوّها بالقبول وذكروها في زبرهم وتصانيفهم معوّلين عليها معتنين بها .

وقد أعادَها بتفصيلٍ أكبر في كتابه النّجم الثاقب بعد أنْ أورَدَ تسعاً وخمسين حكاية ، ثمّ ساقَ التوقيع الشريف في الفائدة الأولى من أصل فائدتين مهمتين : ((وهذا الخبر بظاهرِهِ يُنافي الحكايات السّابقة وغيرها مما هو مذكور في البحار...))[1]. وهكذا تطرق لهذه الإرادات صاحب منتخب الأثر على نحو آخر[2]. والحاصل أنّهم أوردوا على التوقيع الشريف إشكالاتٍ أربعة :

١ـ التوقيع خبر واحد لا يصحُّ الاعتماد عليه .

٢ـ خبرٌ مرسل وضعيف لا يوجب علماً .

---

(١) النجم الثاقب / ٤٨٤ .

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر / ٤٠٠ الصافي الكلبايكاني .

٣ـ الذي نقله وهو شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله لم يعمل به .

٤ـ أعرض عنه الأصحاب لأنَّهم رووا ونقلوا أخباراً وقِصصاً وحكايات كثيرة عن الأخبار والصُّلحاء ممّن نالوا شرف لقائه عليه السلام .

الردّ على المحدّث النوري

ويردُ على الاشكال الأول والثاني : وهو الإشكال السندي أنَّ التوقيع ليس مُرسلاً ولا ضعيفاً ، بل هو خبرٌ واحدٍ ينتهي إلى أبي محمّد المكتّب رحمه الله مما ثبتَتْ حُجيّته في مباحث الأصول ، وأمكن الاستنادُ إليه والاعتماد عليه ولا معنى للخدش فيه ، ولم يختلف علماء الأصول ـ سيّما المتأخرين ومتأخري المتأخرين إلى يومنا هذا ـ في حُجيّته كما لم ينكر حُجيّته من المتقدّمين سوى السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله ، فهو حُجَّةٌ بلا أدنى شكّ ، ولعلَّ المحدّث النوري رحمه الله ظنَّ أنَّ الشيخ الطوسي قد تَفَرَّدَ بنقل التوقيع ولهذا عدّه مرسلاً ضعيفاً أيضاً .

والذي ثبت بالقطع واليقين أنَّ التوقيعَ السّالف الذكر مُسْنَدٌ ليس بمرسل ، ذلك أنَّ الشيخ الصدوق رحمه الله قام بنقله عن سماع بالمباشرة عن الشيخ أبي محمد المكتِّب من غير إرسال ، وأبو محمّد هذا من مشايخ الصّدوق واستنسخه أبو محمد عن الأصل في دار السّمري الذي خَرَجَ إليه التّوقيع من الناحية المقدسة وكان هو المعنيّ بها ، فالصّدوق نقله بواسطة واحدة ، لأنه لم يدرك السمري .

وقد وَقَعَ خلطٌ واشتباه وتصحيفٌ في اسم وكنية راوي هذا التوقيع وهو أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب المؤدب الرازي والمكتب يعني الخطاط ومعلم الكتابة ، وهو يناسب ادّعائه استنساخ التوقيع في دار علي بن محمد السمري خاتم السفراء كان معاصراً لعلي بن عبد الله

الوراق ، ومحمد بن أحمد السّناني بمدينة الريّ الشهيرة يشتغلون جميعاً بالكتابة والرواية عن مشايخ الشيعة[1] ، والمؤدب أي : مربّي القرآن ومعلّمه وقد اشتهر عنه أنّه كان كاتباً خطاطاً ، ومعلّماً للقرآن ، ومربياً للصّبيان ، فكلُّ هذه الألقاب والاوصاف تناسب الشخص المزبور .

ولعل هذا الخلط والاشتباه والتصحيف منشأه التعدُّد الذي ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في بعض كتبه من الألقاب والاوصاف لشيخه أبي محمد كما روى في علل الشرائع عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب في ثمانيةِ مواضع وأضافَ إليه نسبةَ الرّازي في موضعين[2].

وفي كتابه الخصال بلفظ ((المكتب)) وفي موضع آخر ((المؤدب)) وقد علّق عليها في الحاشية أنَّ كلا اللقبين ((المكتب و المؤدب)) يرجعان إلى شخص واحد والمرادُ منهما واحد[3].

وفي معاني الأخبار ذكر ـ طبقاً للمطبوعة ـ باسم الحسن بن إبراهيم ابن أحمد بن المؤدب ، ومكنّىً بأبي عبد الله ، وذكر جدَّ أبيه هاشماً دون هشام المعروف ، وذكره أخرىً بهشام المكتّب[4].

وقد اشتبه الحال على صاحب كتاب مجمع الرجال حيثُ ظنَّ أنَّ الحسن ابن أحمد المكتّب بدلاً من الحسين بن إبراهيم المكتّب[5] وادّعوا ـ بناءً على

---

(1) أمالي الصدوق / ١٥ .

(2) علل الشرائع / ٦٩ ، ٤٠٣ .

(3) الخصال / ٣١٤ ، ٣٣٠ ، ٤٥١ ، ٥٤٣ .

(4) معاني الأخبار / ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٣٨٧ ، ٣٤٥ .

(5) مجمع الرجال / ٧ / ١٩٠ .

حاشية القهبائي ـ أنَّ الحُسين بن إبراهيم هو جدُّ أبي محمّد المكتّب حيث جعلوا التوقيع من مرويات أبي محمّد الحسن بن أحمد بن إبراهيم[1].

وأيضاً اشتَبَهَ الحالُ على المحدّث النوري رحمه الله حيثُ نَقَلَ في سند التوقيع بلفظ ((المؤذن)) بدل ((المؤدب))[2].

هذا وممن روى عنهم أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن هشام المكتب المؤدب الرازي هم : أبو علي محمّد بن همّام ببغداد ، ومحمد بن يعقوب الكليني ، وأبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي بمدينة الريّ ، وعلي بن إبراهيم بن هشام بمدينة قم الذي روى عنه عام ٣٠٧ هـ ، وهؤلاء هم أركان الحديث والسند عند المدرسة الشيعية .

وكيف كان فليسَ الخبرُ واحداً ضعيفاً ولا مرسلاً ، بل الحقُّ أنه خبر واحد مسندُ بسندٍ صحيح أو مقبول أو معتبر لرواية الصّدوق له عن مشايخه المعتمدين ، وما قيل خلاف ذلك فليس بشيء ، سيّما إذا علمنا أنَّ الطاعنين في سنده بعدما أوضحنا اللّبس الواقع عليهم إنّما أثاروا ضعف السند وإرساله لغرض إثبات تلك القصص والحكايات الصّادقة التي لا يطروها شك ولا شبهة ـ على حدّ زعمهم ـ والتّصديق بها إلاّ أنّه كان الأحرى بهم أنْ يبحثوا عن مخرجٍ آخر للجمع بين التوقيع الشّريف وتلك الوقائع والدّعاوى الصادقة من غير حاجة أو توسُّل إلى إنكار المرويّ والإعراض عنه لا سيّما أنَّ ذلك يُعَدُّ من معاجزِ الإمام وكراماته عليه السلام إذ أخبره عن تاريخ

---

(1) مكيال المكارم / ٥٠٧/٢ .

(2) مستدرك الوسائل / ٦٥٧/٣ .

وفاته ، وإنكاره يستلزم إنكاراً لمعجزة مسلّمة وهو إذن قبيح من وجهين وجهتين ولهذا أورده المحدّث الحرّ العاملي في باب معجزاته عليه السلام[1].

وأمّا الردّ على الإشكال الثالث : وهو أنَّ الشيخ الطوسي رحمه الله أعرض عنه ونقضه ورَدَّهُ حينَ بادر إلى نقلِ تلك الحكايات والقصص الصّادقة الدالة على إمكان المشاهدة بل وقوعها .

ويجابُ عنه بوجهين الأول : بملاحظة تلك الوقائع والرجوع إليها في كتاب الغيبة يتّضِحُ للمتأمل جلياً أنَّ تلك الأحداث والقصص إنّما تختصُّ بزمن الغيبة الصُّغرى ولا علاقة لها بالغيبة الكبرى ، والحالُ أنَّ التوقيع الشريفَ ناظرٌ إلى زَمَنِ الغيبة الكبرى وبالتالي فما قصد لم يقع وما وقع لم يقصد إذ لم يدّع أحد امتناع المشاهدة في عصر الغيبة الصّغرى ، بل لم يناقش أحدٌ في إمكانها ، ذلك أنَّ جملةً منها ترتبط بمشاهدته أو لقائه ورؤيته حال صغره عليه السلام وعلى عهد أبيه العسكري عليه السلام وذكرِ تواريخ بعض تلك الوقائع كالتي وَقَعَتْ عام ٢٦٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩[2]، فلا وَجْهَ حينئذٍ لما أوَرَدَهُ المحدّث النوريُّ على أنَّه لا عَلاَقَةَ لجملةٍ منها بالمشاهدة ، بل هي من قبيل الرؤية مع جهلِ الرائي له في الحال ، وهو خارجٌ عمَّا نحنُ بصددِ البَحثِ فيه نفياً وإثباتاً .

أمّا الجواب الثاني : هو أنَّ الشيخ الطوسي رحمه الله إنّما ذكر ذلك في مقامِ بيانِ احتمالِ المشاهَدَةِ للردّ على المخالفين ، وأنَّه ذكر التوقيع الشريف

---

(1) إثبات الهداة / ٣/ ٦٩٣ .

(2) غيبة الطوسي / ٢٥٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

في الأبواب التاليةِ بعد قوله : ((والذي ينبغي أنْ يُجابَ عن السؤال الذي ذكرنَاهُ عن المخالِفِ أنْ نقول : إنّا أوّلاً لا نَقْطَعُ عن استتاره عن جميع أوليائه ، بل يجوزُ أنْ يظهر لأكثرهم ولا يعلم كلَّ إنسان إلاّ حال نفسه ، فإنْ كان ظاهراً له فَعِلّته مزاحة...))[1].

لتكذيبِ دُعاة المشاهدة وبيان عدم المنافاة بين التوقيع الشريف وبين إمكانِ تشرّف بعض الأولياء ، وحصول التوفيق لهم للانتفاعِ غير المباشر بوجودِ الإمام صلواتُ الله عليه ، أو نيلهم شرف لقائه من غير ادّعاءِ المشاهدة فهو رحمه الله يرى إمكانَ الرؤية والمشاهدة غير أنَّ من نالها لا يدّعيها ولا يكشف عنها ولا يفشيها ، ومن ادّعاها وكشف عنها فهو كذاب مفتر .

وأمّا الردّ على الإشكال الرّابع : وهو أنَّ الأصحاب وأكابر القوم قد أعرضوا عنه وخالفوه فباطلٌ أيضاً ، ذلك أنَّ مَنْ أوردوا التوقيع الشريف من أعلامِ الطائفة ممّن تأخَّروا عن الشّيخ الصّدوق لم يخدشوا ولم يطعنوا في سنده ودلالته ، بل نقلوه وأخذوا به أخذ المسلّمات كالشيخ الطوسي في الغيبة ، والطّبرسي في إعلام الورى ، والإربلي في كشف الغمّة ، وابن طاووس في ربيع الشيعة ، رُغْمَ أنَّهم ذكروا تلك الحكايات ، والوقائع وتناقلوها في كتبهم ولا دلالةَ على نقلِ تلكَ الحكايات على إعراضهم عن التوقيع ولا قرينةَ تدلُّ على رَفْضِهِم وإنكارهم له سنداً ولا دلالة .

---

(1) الغيبة / ٩٩ .

أمّا راوي التوقيع الشريف فقد ذكر في كتب القوم بغاية الاحترام والتبجيل ، وعُدّ من مشايخ الشيخ الصدوق وقد ترحم عليه كثيراً في كتبه عندما يروي عنه بعض الأحاديث .

وفي نهاية المطاف :

أحمد الله حمداً ، وأشكره شكراً ، يليقُ بكرمه على ما وَفَّقني لإتمام هذا الكتاب ، ومنه سبحانه وتعالى أستمِدّ العون والتسديد فإنَّه أرحمُ الراحمين ، وآخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ رَب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

* * *

مصادر البحث

أمالي.....الشيخ المفيد

أعلام الورى.....الطبرسي

الاحتجاج.....الطبرسي

إثبات الهداة.....الحر العاملي

اسمى المناقب في تهذيب اسمى المطالب.....للجزري

الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب.....المازندراني

اصول الفقه.....محمد رضا المظفر

الامالي.....الشيخ الصدوق

بحار الأنوار العلامة.....المجلسي

البيان في أخبار صاحب الزمان.....الكنجي الشافعي

تنزيه الأنبياء.....السيد علم الهدى

التعريف بالمتن.....لابن طاووس

تلخيص الشافي.....الشيخ الطوسي

تجريد الاعتقاد.....الخواجَة نصير الدين الطوسي

تهذيب التهذيب.....ابن حجر العسقلاني

تاريخ بغداد.....الخطيب البغدادي

تهذيب الكمال في أسماء الرجال.....جمال الدين المزي
جنة المأوى.....المحدث النوري
الحق المبين .....الشيخ جعفر كاشف الغطاء
الخرائج والجرائح.....القطب الراوندي
خاتم الأوصياء.....محمد المؤمن
الخصال.....الشيخ الصدوق
حياة السفراء الأربعة للإمام المهدي.....للمؤلف
دلائل الإمامة.....ابن جرير الطبري
درر الفوائد.....الشيخ عبد الكريم الحائري
ذخائر العقبى.....للمحب الطبري
الذريعة.....السيد مرتضى علم الهدى
رجال بحر العلوم.....مهدي بحر العلوم
رسائل الشريف.....المرتضى
سنن.....أبي داود
سنن.....أبي عمرو الداني
سنن.....الترمذي
السيرة الحلبية.....علي بن برهان الحلبي
شرح أصول الكافي.....الملا محمد صالح المازندراني

الصحاح.....ابن حماد الجوهري
الشيعة في الإسلام.....العلامة الطباطبائي
طبقات أعلام الشيعة.....الآغا بزرك الطهراني
علل الشرائع.....الشيخ الصدوق
عقد الدرر.....يوسف بن يحيى الشافعي
العرف الوردي في أخبار المهدي.....جلال الدين السيوطي
عصر السفياني.....عبد الكريم الزبيدي
الغيبة.....للنعماني
الغيبة.....الشيخ الطوسي
فرائد الأصول.....الشيخ الاعظم الانصاري
فرج الهموم.....ابن طاووس
فرائد السمطين.....إبراهيم بن محمد الجويني
فرق الشيعة.....النوبختي
القول المختصر.....لابن حجر
كمال الدين واتمام النعمة.....الشيخ الصدوق
كنز العمال.....المتقي الهندي
كفاية الأثر.....علي بن محمد الرازي
كفاية الاصول.....محمد كاظم الخراساني

كشف الغمة.....الأربلي
كتاب.....العين أحمد الفراهيدي
كنز الفوائد.....الكراجكي
كشف القناع عن وجوه حجية الاجماع.....الشهيد التستري
اللمعة البيضاء.....محمد علي التبريزي
لسان العرب.....ابن منظور
المهدي الموعود المنتظر.....نجم الدين جعفر بن محمد العسكري
الملاحم والفتن.....نعيم بن حماد
مختصر سنن أبي داود.....للمنذري
المنار المنيف.....لابن القيم
المهدي المنتظر على الأبواب.....محمد عيسى
المصنف.....ابن ابي شبه
المعجم الكبير.....للطبري
المستدرك الحاكم.....النيسابوري
مصباح السنة.....للبغوي
مفردات الراغب.....الاصفهاني
مجمع الرجال.....القهبائي
مرآة العقول.....المجلسي

من لا يحضره الفقيه.....الشيخ الصدوق

المقنع.....الشيخ المفيد

المنقذ من التقليد.....سديدُ الدين الحمصي

منتخب الأثر.....المتّقي الهندي

منتقى الاصول.....محمد الروحاني

معاني الأخبار.....الشيخ الصدوق

مستدرك الوسائل.....المحدث النوري

المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية.....المؤلف

نوادر الأخبار الفيض.....الكاشاني

النجم الثاقب المحدث.....النوري

الوافي الفيض.....الكاشاني

ينابيع المودة القندوزي.....الحنفي

مُحْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ

المقدمة.....	٦
القسم الأول	
مَنْ هو المهدي.....	٩
الخلاف في شخص المهدي لا في وجوده.....	١٩
المهدي من وُلد الحسن.....	٢١
والتحقيق في ذلك.....	٢١
ما أُدعيّ بأن الهدي اسمه محمد بن عبد الله.....	٢٨
والتحقيق في ذلك.....	٣٠
الظروف السياسية التي احاطت بولادة الإمام المهدي.....	٣٥
القسم الثاني	
تحقيق حول مسألة المشاهدة.....	٤١
المشاهدة في الغيبة الكبرى.....	٤٤
الفرق بين الرؤيا والمشاهدة.....	٤٥
ذكر من قال باستحالة الرؤيا.....	٥٠

أدلة النافين لرؤيته بعد الغيبة الكبرى	
الدّليل الأول نفيُ الرّؤيةِ مُطْلقاً وذلك بمقتضى التوقيع...	٥٤
والجواب على ذلك : يكونُ في عدّة أجوبة	
الجوابُ الأوّل.....	٥٥
الجواب الثاني هو جوابنا.....	٥٥
الجواب الثالث	٥٥
الجوابُ الرّابعُ.....	٥٦
الجوابُ الخامس.....	٥٧
الجوابُ السّادِسُ.....	٦٠
الجوابَ السابع.....	٦١
الجواب الثامن.....	٦٢
الدليل الثاني : الاستدلالُ بالأخبار الدالّة على أنَّ الإمام	٦٢
والجواب على ذلك يكونُ في عدّة أجوبة.....	٦٤
الدليل الثالث : استدلَّ النافون بروايات الحجّ.....	٦٥
والجواب عن ذلك.....	٦٥
الدليل الرابع : تمسّك بعضهم لنفي إمكان الرؤية.....	٦٧
والجواب عليه.....	٦٩
ذكرُ مَنْ قال إمكان الرؤية والمشاهدة.....	٧٠

أدلة القائلين بإمكان الرؤية والمشاهدة	
الدليل الأول : الروايات الدالة على المشاهدة.....	٧٥
الدّليل الثاني : وهو التوقيعُ الصّادر من النّاحية المقدّسة	٧٨
الدليلُ الثالث : الإجماع ومعناه أنْ يسمع بعضُ العلماء	٧٨
الدليل الرابع : القصص والحكايات والشواهد الصادقة	٧٩
والحقُّ أنْ يقال : أنَّ تلك القصص والحكايات لا يمكن	٨٠
مقارنة بين القولين.....	٨٣
توضيحُ رأي المحدّث النوري.....	٨٤
الردّ على المحدّث النوري.....	٨٦
نهاية المطاف.....	٩١
مصادر البحث.....	٩٢
محتويات الكتاب.....	٩٧